

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة المسيلة.

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية.

قسم التاريخ

الكتابة التاريخية في الجزائر ودورها في الحركة الوطنية (1900-1954)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر
تخصص: تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر

إشراف الدكتور:

- أبو بكر الصديق حميدي.

إعداد الطالبة:

- وسيلة فدفاد.

السنة الجامعية : 1434/1435هـ - 2013/2014 م .

ALL ABOUT

"... رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في تحه لو غير هذا
لكان أحسن ، ولو زيد لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا
لكان أجمل ... وهو من أعظم العبر وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر ."
القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني .

الإهداء

إلى من كان شعارهم "نموت ويحيا الوطن" إلى الشهداء الأبرار و المجاهدين الأحرار الذين
لولاهم ما كتبت هذه السطور.

إلى رمز الحنان و العطاء إلى والدي الكريمين أطال الله في عمرهما وجعل حسن الخاتمة
منتاهما.

إلى كل مجد مجتهد، إلى كل طالب علم لا طالب شهادة.

إلى كل من أحب، وإن لم يكتبهم قلمي فهم في قلبي حضور.

إلى وسيلة فدفاذ، التي بذلت جهدا مخلصا وعاينت التجربة ومارستها بكل صعوباتها ومشاقها.

أهدي هذا العمل.

الشكرات

إن الشكر أولاً و قبل كل شيء لله رب العالمين، فله الحمد وله الشكر عدد خلقه ورضا نفسه
وزنة عرشه ومداد كلماته.

ثم أتقدم بجزيل الشكر وجل الامتان إلى الدكتور المشرف "أبو بكر الصديق حميدي" فله مني
فائق الاحترام والتقدير.

كما أشكر كل الأساتذة الذين مدوا لي يد العون ولو بنصيحة أو توجيه فإلى الأساتذة: صالح
لميش، عبد الكامل جويبة، كمال بيرم، عبد الله مقلاتي، مصطفى عبيد، محمود بوكسيبة، خير الدين
شتر، فتح الدين بن أزواو، محمد يعيش، إسماعيل تاحي، لخضر بولطيف، عمر بوضربة، ريمة مليزي، عبد
السلام همال، عبد الرحمان تونسي (جامعة خميس مليانة بالعاصمة)، فارس كعوان (جامعة فرحات عباس
بسطيف)، رابح كنتور (جامعة بوزريعة بالعاصمة)، كل الشكر والامتان.

كما أتوجه بالشكر إلى كل من:

موظفي وموظفات متحف المجاهد لولاية المسيلة.

موظفي وموظفات مكتبة قسم التاريخ بجامعة المسيلة.

موظفي وموظفات المكتبة الوطنية (القديمة) بالتلملي العاصمة وعلى رأسهم المديرية سامية شلال.

موظفي وموظفات المركز الثقافي بالمعاضيد بالمسيلة.

عائلة "زفان محمد" بالعاصمة على ضيافتهم.

الطالبة: حسين بجاوي، عبد الله عبد السلام، أحمد عبيدي، السعيد كداد (سنة ثانية
ماستير، تخصص تاريخ وسيط).

فجازاهم الله عنا كل خير.

بالعربية:

تر: ترجمة.

ج: الجزء.

د م: دون مكان.

د ت: دون تاريخ.

ص: الصفحة.

ط: الطبعة.

ع: العدد.

مج: مجلد.

بالفرنسية:

Vol : volume.

مفتحة

" كتابة تاريخ الجزائر : إنه ضرورة ملحة ،...، يجب حمايته من الضياع ،...، كثيرا ما تترد على أسماعنا هذه الجمل تعقد الملتقيات، وتدار الجلسات، يكثر النقاش ، وتتعالى الأصوات ،...من أجل مساهمة فاعلة بغية تحقيق على الأقل الحد الأدنى في إثراء الرصيد الثقافي ،الذي يعبر عن الهوية الوطنية عبر الأجيال المتتابة.

رصيد تعرض للكثير من المساومات لاسيما غداة الاحتلال الفرنسي ،مما دفع ببعض الأقلام الجزائرية في مطلع القرن العشرين للاستجابة لدافع التحدي الحضاري المفروض عليها ،للإسهام بكتابات تاريخية صبغتها بصبغة مميزة أصبحت معروفة بها، سواء من حيث الرؤية التي تحكمت في إنتاجها أو من حيث المضمون والمحتوى.

إسهامات تركت بصمة واضحة في مسار الحركة الوطنية بأشكالها السياسية و الثقافية ،فكان لها عظيم الأثر في بعث النهضة الفكرية والثقافية والتصدي للمشروع الاستعماري الذي كان يهدف إلى محو الشخصية الوطنية وإلغاء وجودها، وجعل الجزائر أرضا تابعة لفرنسا.

ولعل أهم ما يجب الإشارة إليه هو أن كل من تناول الكتابة التاريخية في الجزائر لهذه الفترة (مطلع القرن العشرين) موضوعا لبحثه، قد تناولها كمجرد مساهمات لإبراز الرصيد الثقافي، مهملا ما كان لها من دور في الحفاظ على الهوية الوطنية التي كانت إحدى صورها البارزة ،فجاءت دراستنا الموسومة ب "الكتابة التاريخية في الجزائر ودورها في الحركة الوطنية (1900 -1954م)" والتي نود التعرف من خلالها على أهمية الكتابات التاريخية في الجزائر ورصد دورها في دفع مسار الحركة الوطنية نحو الاستقلال والتحرر.

واختيارنا لهذا الموضوع يرجع لأسباب عديدة أهمها:

- 1- معرفة دور المثقف في صناعة الفناعات والتوجهات الوطنية.
 - 2- الخروج من دائرة البحوث التاريخية التي تتعلق بالحروب والمعارك وكل ما يدور في فلكها .
 - 3- تدرج في محاولة مبدئية لإثارة النقاش وتوجيه الأبحاث بقصد معرفة جانب مظلم من الجوانب التي تتعلق بالكتابات التاريخية وخلفيتها الوطنية .
- لذلك تمحور البحث حول إشكالية رئيسية هي الكتابات التاريخية في الجزائر خلال الفترة المدرسة ودورها في تفعيل مسار الحركة الوطنية ،مع تفصيل ظروف نشأتها ومرتكزاتها وتوجهاتها العامة ،وبعض ما جاء في مضامينها وتبيان أهدافها .

ولتوضيح هذه الإشكالية يمكن طرح التساؤلات الآتية :

- 1- ما هي الظروف التي نشأت فيها الكتابات التاريخية خلال الفترة المدرسة وما هي مرتكزاتها؟

2- هل هذه الكتابات التاريخية ظاهرة عرضية أم أنها ضرورة حتمية أوجدتها رهانات سياسية إيديولوجية ؟

3- ما هي أهم المواضيع التي تطرق لها المؤرخون الجزائريون؟

4- إلى أي مدى استجابة هذه الكتابات في إبراز المعالم الصحيحة لتاريخ الجزائر؟ وكيف ساهمت في تفعيل مسار الحركة الوطنية؟

والمرحلة التي نتناولها بالدراسة تنحصر بين سنوات (1900-1954م) المحددة بما يعرف بالانبعاث الثقافي (النهضة) واندلاع الثورة بالجزائر، وهي فترة ثرية بالأحداث سواء محليا أو عالميا، فهي فترة انتشار الأفكار الإصلاحية، وبروز الحركات السياسية الوطنية وطرح المبادئ الديمقراطية، وحدوث التغيرات العالمية التي تركت آثارها العميقة على المنطقة، إلا أن طبيعة الموضوع تقتضي منا في بعض الأحيان الرجوع للوراء لمعرفة الظروف والأسباب بغية الوصول إلى نتائج معينة لرسم صورة واضحة وجليّة عن الموضوع محل الدراسة.

هذا من حيث الإطار الزمني، أما من حيث مدلولات العنوان فهي الكتابة التاريخية التي تحدد على ضوءها نوع الدراسة، والجزائر التي تشكل فضاء البحث محل الدراسة، أما دورها في الحركة الوطنية فهي تمثل المشروع الثقافي الوطني من أجل دفع مسار الحركة الوطنية .

وبما أن لكل بحث مناهج فإننا اعتمدنا على عدة منها : المنهج التاريخي الوصفي، والمنهج التحليلي الإستنتاجي، و المنهج المقارن .

فالمنهج التاريخي الوصفي منهج تقتضيه طبيعة الموضوع التاريخية، إذ وظفناه في وصف الكتابات التاريخية وعرض مضامينها، لأن هذه الكتابات هي جملة من الأحداث التي لا تتضح معالمها إلا بوصفها ووصف الظروف والأسباب التي نشأت فيها.

أما المنهج التحليلي الإستنتاجي فقد إعتمدناه في دراسة المادة العلمية، بحثا عن حقيقة دورها واستنتاج مواطن قوتها، بل والوقوف على بعض نقاط ضعفها وتحليل وجهتها الفكرية والسياسية .

في حين سلكنا المنهج المقارن لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف والتداخل بين الكتابات التاريخية، سواء في توجهاتها العامة بين ما هو فرنسي استعماري وما هو جزائري وطني، أو بين الكتابات التاريخية الجزائرية في حد ذاتها ومدى تأثر هذه الكتابات بغيرها .

وتبعاً لما توفر لنا من مادة علمية قسمنا البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وملاحق وقوائم ببليوغرافية وفهارس .

تطرقنا في المقدمة إلى إحاطة بالموضوع وأسباب اختياره والإشكالية والأسئلة المراد الإجابة عنها، ولحمة عن حدود الدراسة والمناهج الموظفة مع عرض لأهم المصادر والمراجع، وفي الأخير ذكر الصعوبات التي اعترضتنا أثناء إنجازها .

أما الفصل الأول فهو عبارة عن فصل تمهيدي وقد خصصناه لتعريف الكتابة التاريخية بضبط المصطلح، ثم تناولنا الوعي بالتاريخ بين النظرة العامة وحظ الجزائريين منه، وفي العنصر الأخير تطرقنا للصعوبات التي واجهت كتابة التاريخ الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية .

في حين تناولنا في الفصل الثاني الكتابة التاريخية في الجزائر (واقع وأفاق) فأوردناه للحديث عن انبعاث الكتابة التاريخية بين ظروف هذا الانبعاث والمرتكزات التي بنيت عليها بالإضافة للتوجهات العامة الخاصة بها بين ما هو فرنسي استعماري، وما هو جزائري وطني .

وأخيرا الفصل الثالث والفصل الرابع اللذان تطرقنا من خلالهما لنماذج مختلفة من كتابات تاريخية جزائرية ركزنا فيها على كتابات الإصلاحيين (الميلي و المديني) في الأول، وكتابات ذات توجهات أخرى في الثاني (عبد الرحمان الجيلاي، الشريف الساحلي، فرحات عباس، وأبو بعلي الزواوي).

وأخينا البحث بخاتمة كانت عبارة عن حوصلة لنتائج مستخلصة من هذه الدراسة دعمت بملاحق وفهارس للأعلام وآخر للأماكن وختاما وضعنا فهرسا للموضوعات.

وقد استعملنا مصادر ومراجع اختلفت في الأهمية حسب ما تقدمه للبحث من معلومات، فتنوعت بين صحف ومجلات وكتب مصدرية ومرجعية بالإضافة إلى الدراسات .

فالصحف التي تعتبر أهم المصادر المعبرة عن الحقائق التي عايشتها استعملنا منها "الشهاب" التي ظهرت قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين و"البصائر" لسان حال جمعية العلماء المسلمين .

أما الكتب المصدرية فقد استعملنا مجموعة على رأسها كتاب "حياة كفاح" في جزئه الثاني (1925-1954م)

وهي مذكرات تعرض أعمال المديني في هذه الفترة، وقد استفدنا منها في بعض ما دونه على نتاجه التاريخي ككتابة محمد عثمان باشا داي الجزائر، وكتاب الجزائر.

كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث "لمبارك الملي" لاسيما جزئه الأول الذي استفدنا منه خاصة في معرفة دوافع وظروف تأليفه، بالإضافة لتقارير موجودة فيه الخاصة بابن باديس وشكيب أرسلان .

أما المراجع فقد تنوعت بين مجلات وكتب وكان أغلبها مجلات نذكر منها: مجلة الأصالة، مجلة عصور الجديدة، مجلة عصور، مجلة المعيار، مجلة الباحث، مجلة التاريخ...

في حين اعتمدنا على كتب مرجعية أهمها : التيارات الفكرية بين الاتفاق والاختلاف لرابح لوني سي ،وقد استفدنا منه في بعض الأفكار التي وظفناها في خطة البحث، بالإضافة للاستفادة من المادة العلمية الموجودة فيه، وكتاب "تاريخ الجزائر الثقافي" في جزئه السابع لأبي القاسم سعد الله الذي تطرق فيه لعدة كتابات تاريخية خلال الحقبة الاستعمارية (1830-1954م) فاستفدنا منه في توظيف بعض ما أورده من معلومات عن تلك الكتابات الخاصة بالموضوع محل الدراسة .

ولا يخلو أي بحث جاد من صعوبات وعراقيل تواجه الباحث طيلة فترة إنجازه، وهذا بعض ما واجهنا من صعوبات :

- 1- قلة المادة العلمية وعدم توفر كتب متخصصة تتكلم عن الموضوع محل الدراسة، فمعظم ما كتب حوله كتب ضمن مقالات وفي مجلات استعصى علينا في كثير من الأحيان الوصول إليها.
- 2- العراقيل التي لاقيناها في المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 من غياب الانفتاح على الباحثين أضعفت فينا روح الإرادة والبحث.
- 3- العراقيل التي لاقيناها في المكتبة الوطنية (الحامة) بالعاصمة والمتمثلة في أمرين:
 - عدم الحصول على رخصة الدخول إلى المكتبة إلا بعد إصرار منا ومناقشات مع مدير المكتبة وصلت إلى حد الجدل .
 - عدم الحصول على المادة العلمية الموجودة ضمن المقالات والجرائد المحفوظة غالبا في شكل ميكرو فيلم و ميكروفيش، التي لا يمكن استنساخها أو الاطلاع عليها لأسباب بيروقراطية وحجج واهية لا تزيد في حقيقة الأمر إلا في تكريس المحسوبة .
- 4- ضيق الوقت مقارنة مع نوعية الموضوع الذي يحتاج إلى تركيز كبير، الأمر الذي دفع بنا إلى التركيز على كيفية الانتهاء من إنجازه في الوقت المحدد بدل التركيز على كيفية إنجازه بطريقة جديدة وبأسلوب علمي راق .
- 5- صعوبة تبويب المادة العلمية إلى فصول ومباحث لعدم التوازن في المادة العلمية من جهة وتداخل العناصر من جهة ثانية.

لكن بفضل من ساعدونا استطعنا تجاوزها فنقدم لهم شكرنا الجزيل.

وسيلة فدفاد

يوم 01 جوان 2014م.

فصل الثامن
في بيان ما
يجب على
الملك

أولاً- مفهوم الكتابة التاريخية (ضبط المصطلح):

كثيراً ما تستعمل كلمتي التاريخ والتأريخ للدلالة على نفس المعنى عند جل الباحثين والعلماء (التعريف بالوقت)، رغم وجود فرق بينهما وربما هذا راجع إلى وحدة المنبع في الاشتقاق اللغوي للكلمتين.

فالتاريخ كلمة مشتقة من الفعل أرخ، يؤرخ، تاريخاً، ومن ورخ يورخ تورخاً وتاريخاً وتعني: تعريف الوقت والإعلام به، ويقال أرخت الكتاب، وورّخته: أي بينت وقت كتابته، والتأريخ تعريف الوقت والتورخ مثله¹، وقد ميز الأصمعي بين اللغتين، لغة الشماليين أرخته تاريخاً وهم بنو قيس، ولغة الجنوبيين (اليمن) ورخت الكتابة تورخاً وهم بنو تميم².

في حين أن المعنى الاصطلاحي يعطي مدلولاً آخر فالتاريخ "بتسهيل الهمز"³ التي تقابل كلمتي "Histoire" بالفرنسية، و "History" بالإنجليزية⁴، تدل على مسيرة الإنسان منذ القدم أي أن التاريخ هو أحداث الماضي الملحوظة على مر الزمن⁵، في حين أن "التأريخ" بالهمزة⁶ التي تقابل كلمة "Historiographie" عند الأوروبيين⁷ تعني تدوين التاريخ، أو كتابة التاريخ- وهذا ما يعيننا في هذه الدراسة- وهي عبارة عن عملية فكرية إنشائية يقوم المؤرخ بإعادة تسجيل وبناء وتفسير مسيرة الإنسان، أي معرفة أحداث الماضي⁸.

والتاريخ والتأريخ كلمتان لم ترد في الشعر الجاهلي أو في القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، ويبدو أنها استعملت لأول مرة في الآداب العربية مع أخبار إدخال التقويم الهجري، واكتسبت الكلمة معنى "الكتابة التاريخية"⁹ منذ ذلك الحين لاهتمام الحضارة العربية الإسلامية بالتأليف التاريخي، وارتبط هذا الاهتمام بانشغال العلماء العرب المسلمين بتقنين اللغة العربية من جهة، وجمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من جهة ثانية¹⁰ هذا باختصار مفهوم الكتابة التاريخية بين المدلول اللغوي والمعنى الاصطلاحي، قبل أن نتقل إلى نقطة أخرى وهي الوعي بالتاريخ بين النظرة العامة وحظ الجزائريين منه.

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص3.

² حسان حلاق، مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات، ط4، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2004، ص 49-50.

³ ليلي الصباغ، دراسة في منهجية البحث التاريخي، ط13، مطبعة الروضة، دمشق، 2008، ص34.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000، ص7.

⁵ محمود محمد الحويري، منهج البحث في التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001، ص11.

⁶ ليلي الصباغ، المرجع السابق، ص34.

⁷ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص7.

⁸ محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص11.

⁹ ليلي الصباغ، المرجع السابق، ص35.

¹⁰ جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، مج4، منشورات وزارة المجاهدين، 2009، ص150.

ثانيا- الوعي بالتاريخ بين النظرة العامة و حظ الجزائريين منه:

1- نظرة عامة حول الوعي التاريخي:

"اعلم أنّ فن التأريخ فن غزير المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يعرفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا...".¹

هكذا استعرض ابن خلدون فائدة التأريخ كسجل للجهد الإنساني في جميع ميادين نشاطه، لذلك ليس غريبا أن يعد من أقدم المعارف التي جذبت اهتمام الإنسان وشغلته، فمنذ وقت مبكر بذلت جهود ومحاولات متواصلة من أجل تأسيسه ليصبح أحد حقول المعرفة التي يسترشد بها الإنسان، وتشد أزره من أجل إدراك المثل التي ينشدها.²

فالتاريخ ذاكرة الشعوب وضميرها الحي، ومن أهم العوامل التي تدفع الأمم إلى الاعتزاز بقيمتها والافتخار بماضيها والتضحية من أجل تحقيق أهدافها، لأنه بقدر ما نتفهم أحداث الماضي، ونتعرف على أبعاده بموضوعية ووضوح بقدر ما يمكن أن نتصور آفاق المستقبل بكل ثقة واطمئنان.³

لذا ومع مرور الوقت ازداد الاهتمام به فبرزت التصورات المختلفة والطرق العديدة والآراء المتباعدة أو المتقاربة، فنجم عن ذلك ظهور المدارس المختلفة الأهداف، حيث اعتمدت مناهج مميزة خاصة بها، تُخدم أبعاد تلك المدارس.⁴

وفي العصور الحديثة بدأ المفهوم العلمي والموضوعي يتأكد أكثر فأكثر وكل دولة أرادت أن تجعل من التاريخ في مدارسها وسيلة من وسائل تأييد وجهة نظرها ومتماشيا مع مثلها الوطنية، ليتأثر أكثر بالإيديولوجيات بمطلع القرن العشرين، وتحديدًا بعد الحرب العالمية الأولى.⁵

وأصبح الاهتمام به يعبر عن مدى الوعي التاريخي في أي مجتمع من المجتمعات، فهو أحد مؤشرات انحطاطه وتدهوره، وإهماله يعكس حالة موضوعية تسير نحو الانحطاط والتقهقر، وهو ما يترجم من زاوية تاريخ الذهنيات بغياب الوعي التاريخي في الذاكرة الجماعية للأمة، التي سيقودها في نهاية المطاف إلى حالة العبودية التي تجسدها تحكم القوى الأجنبية في مصيرها، وهو ما حدث فعلا في القرن التاسع عشر.⁶

¹ عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2004، ص21.

² جمال قنان، المرجع السابق، ص148.

³ ناصر الدين سعيدوني، "التاريخ وأهميته في بناء الوطن"، مجلة الباحث، ع2، نوفمبر 1984، ص51.

⁴ مسعود كواتي، "المدرسة التاريخية منجزات الحاضر ومهام المستقبل"، المدرسة التاريخية الجزائرية، الجزائر، 1998، ص153.

⁵ فلالي السايح، "نظرة حول المدارس المختلفة للتاريخ"، الملتقى الوطني الثالث للبحث الأثري والدراسات التاريخية، المسيلة، 1995، ص11.

⁶ جمال قنان، المرجع السابق، ص340-341.

والسؤال الذي يمكن أن يطرح: ما هو حظ ومكانة التاريخ عند المؤرخين الجزائريين لاسيما في ظل التواجد الفرنسي؟

2- حظ الجزائريين من الوعي التاريخي:

ظل الكتاب الجزائريون إلى غاية النصف الأول من القرن الثامن عشر على طريقة أسلافهم القدامى في المشرق والمغرب على السواء في عدم الاهتمام بالعلوم العقلية بما فيها "علم التاريخ"، وهذا الإهمال يعبر عن قاعدة بقاء الأوضاع بصورة عامة على ما كانت عليه قبل مجيء العثمانيين، وهذا لطبيعة الإدارة العثمانية، ضف لذلك أن هذه الأخيرة عملت على مساندة هذا الوضع تدعيما للعقيدة الإسلامية (العلوم الشرعية)¹، ويرى أبو القاسم سعد الله في مؤلفه "تاريخ الجزائر الثقافي ج2"، أن سيطرة التصوف والروح الدينية هي التي أضعفت العناية بعلم التاريخ ومن ثم أضعفت دوافع التأليف فيه، ويضيف بأنه رغم آراء ابن خلدون في التاريخ كانت متوفرة بالإضافة إلى كتب التاريخ الإسلامي إلا أن التاريخ كان يحتل عندهم درجة من الإهمال².

وقلة العناية بالتاريخ خلال العهد العثماني، تعود لأن الدولة العثمانية لم تهتم على الأقل في عهد قوتها. بصياغة شرعية إيديولوجية تقرر بها في الأقطار الواقعة تحت سيطرتها، ولم يظهر هذا الاتجاه أي صياغة شرعية إيديولوجية إلا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، بفعل معاناة المؤسسة السياسية في الجزائر من أزمة حادة لعوامل ترتبط بالوضع العام من ناحية، والمقاومة العنيفة للطرق الصوفية من ناحية أخرى، وفي ظل هذه الوضعية ظهرت الحاجة لدى السلطة الحاكمة إلى تجنيد المثقفين، وبطبيعة الحال منهم المؤرخين لصياغة شرعية تقرر وجودها وتبرر نفوذها على المجتمع³.

أما خلال فترة الاحتلال عملت الإدارة الفرنسية على تغييب الذاكرة الجماعية للجزائريين وتاريخهم، وقد حققت ما أرادت إلى درجة أصبح المؤرخ الجزائري لا يفرق بين علم التاريخ وعلم الجغرافيا، فهذا أبو الحامد المشرفي وهو يتحدث عن برامج مدرسة تلمسان العربية الفرنسية في كتابه "ذخيرة الأواخر والأول" سنة (1877م)، يقول "يدرسون الجغرافيا أعني علم التاريخ"⁴.

إلا أنه مع نهاية القرن التاسع وبداية القرن العشرين بدأ التاريخ يعرف نوعا من الاهتمام، والإشادة بفوائده فهذا الأغا بن عودة المزاربي يعرفه في كتابه "طلوع سعد السعود" بأنه "يتكفل بأخبار القرون والأمم ودولها، ومن

1 محمد دادة، "التدوين التاريخي في الجزائر خلال العهد العثماني خصائصه وموضوعاته"، مجلة عصور الجديدة، ع3-4، 2011-2012، ص120-121.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500. 1830م)، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص321-323.

³ عالم محمد، "التاريخ والمؤرخون في الجزائر خلال القرن الثامن عشر"، وحدة البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، جامعة وهران، (د،ت) ص9.

⁴ فارس كعوان، "المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراة في التاريخ المعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور، عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011-2012، ص01.

مضامينها أو حل أو هو آت في المستقبل، فحقه الاعتراف به بتدوينه كي لا يضيع فيهمل¹، وهذا محمد بن عبد الرحمان الديسي يعرفه حين قرظ كتاب "تعريف الخلف برجال السلف" للحفناوي بأنه "الفن الجليل المعظم في كل أمة وقبيل الذي لولاه ما عرفت سير الملوك، ولا حفظت تراجم العلماء والحكماء"².

لكن التغيير الهام في مفهوم التاريخ وتقنياته قد ظهر مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وكان ذلك مرتبط بظهور الحركة الإصلاحية من جهة والحركة الوطنية من جهة أخرى، فكانت جهود ابن باديس في الأولى، وجهود الأمير خالد في الثانية، هي التي نبهت إلى المفهوم الجديد للتاريخ³.

ورغم أن التنظيمات السياسية (الأحزاب) كانت أولى بالاهتمام بالتاريخ واستثماره للحاضر، فإنها كانت أول أمرها بعيدة عن ذلك، ولم يكن الزعماء السياسيين يهتموا أو لم يكونوا يعرفون الضروري عن الكتابة التاريخية ولو من أجل توظيفها في البرامج السياسية لأحزابهم، وربما الاستثناء الوحيد هو حركة الأمير خالد التي تعتبر أول حركة سياسية جسدت المفهوم السياسي لتاريخ، فقد استشهد في خطبه وعرائضه بتاريخ جده وبكفاح الجزائريين خلال القرن التاسع عشر، فانتشرت بذلك فكرة الربط بين التاريخ والوطنية⁴.

ومن الملاحظ أن التاريخ حضي بمكانة هامة عند مؤرخي الجزائر في تلك الفترة، وإن كان كل منهم قد عرفه انطلاقاً من الموضوع الذي أراد الكتابة فيه⁵، فهذا أبو يعلى الزواوي يعرفه في كتابه "تاريخ زاووة" سنة (1924م) بأنه "هو تنوير الجليل الجديد حتى يكون على بصيرة سلفه"، وذلك مبارك الملي يعرفه في مقدمة كتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، ج1، بأن "التاريخ مرآة الغابر ومرقاة الحاضر... وجود الأمم وديوان عزها، ومبعث شعورها وسبيل اتجاهها وسلم رقيها"⁶.

في حين يرى فيه عبد الرحمان الجيلالي أنه "أعظم درس ممتع لتتبع أحوال الماضيين في خدمة المستقبل، فالتاريخ يعطينا أمثلة واقعية تطبيقية عن سير جميع شخصيات الماضي وحتى الأخطاء التي ارتكبتها بعض من اعترض أرائهم من الأسلاف... تبعث فينا داعي العبرة والانتباه، فنتجنب الوقوع في مثل تلك الأخطاء حاضرا ومستقبلا، والتاريخ يعيد نفسه كما قيل"⁷.

إذن الوعي بالتاريخ بين النظرة العامة وحظ الجزائريين منه، وعي عملت فرنسا على تغييره طيلة فترة وجودها بشتى الأساليب، مما أوجد صعوبات كثيرة عند محاولة تدوينه.

¹ المزاري، طلوع سعد السعود، تحقيق يحي بوعزيز، دار البصائر، 2009، ص53.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830. 1954م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص303.

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص309.

⁴ أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص403-404.

⁵ فارس كعوان، المرجع السابق، ص4.

⁶ جيلالي بلوفة عبد القادر، "قيمة ووزن الكتابة التاريخية الفرنسية في المشروع الاستعماري"، مجلة المعيار، ع10، سبتمبر 2005، ص105-106.

⁷ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، تحقيق ومعالجة النص ياسين أصنام، شركة دار الأمة، 2010، ص26.

ثالثا-صعوبات واجهت كتابة التاريخ الجزائري خلال الفترة الاستعمارية:

يقول جمال الدين الأفغاني "لا عزة لقوم لا تاريخ لهم...." وقد أدرك الفرنسيون منذ الوهلة الأولى للاحتلال هذه الحقيقة، وأيقنوا خطورة التاريخ على وجودهم واستمرار غزوهم للجزائر¹، لذا فبعد أن استطاعوا تفجير الشعب الجزائري الذي تم على مدى امتداد المقاومة المسلحة عمد لتجهيله فأوشكت ثقافته العربية على الاندثار²، فقد ضربت ضربة قاسية وعلى رأسها التراث الوطن القومي³ ولكي يتمكن من بسط نفوذه على الجزائريين قتل في نفوسهم جذوة الاعتزاز بتاريخهم وقيمهم الحضارية⁴.

ويمكن أن نجمل الصعوبات التي واجهت التاريخ في الجزائر إلى مرحلتين مرحلة صاحبت الحملة العسكرية وطيلة فترة المقاومة الشعبية، ومرحلة بعد أن استقر الأمر للوجود الفرنسي في الجزائر ولو نسبيا.

1-المرحلة الأولى:

بعد الحروب والأهوال التي توالى على هذا القطر قد عملت عملها المدمر مما تركه المؤرخون الجزائريون⁵ فالتطورات السريعة التي نزلت بالجزائر مع مطلع القرن التاسع عشر جعلت الكثير من العلماء يهاجرون إلى البلاد العربية والإسلامية ويحملون معهم كتبهم، أما ما ترك فقد ضاع أثناء نيش و بعثرة المكتبات الخاصة والعامة في الحروب التي رافقت الاحتلال الفرنسي، وقد أصبحنا اليوم لا نعرف عن هذه الكتب إلا ما يذكر من طرف المستشرقين وضباط المكاتب العربية والمترجمون⁶ نتيجة استيلائهم عليها واستثمارها فيما يخصهم تحت الإغراء أو التهديد⁷، وبعد الانتهاء منها إما ضيعوها⁸، أو حملوها إلى بلدانهم كما اختفت مكتبات بأكملها كمكتبة الجامع الكبير بالعاصمة التي كانت في العهد العثماني من أغنى المكتبات⁹.

وفي هذا الصدد يتحدث بعض المؤرخين الفرنسيين بأسف عن بعثرت هذا التراث الجزائري فقد قال "مارسيل أجريتوا"، "إن بعض المؤرخين الذين يضجون بالشكوى من قلة الوثائق التي تسهل لهم أبحاثهم، يمتنعون عن التصريح بأن الغزاة الفرنسيين أتلفوا عددا كبيرا منها، وعددا كبيرا من الكتب والمراجع القيمة التي يمكن الاعتماد

¹ موسى هيصام، "التاريخ الوطني في المنظومة التربوية، التعليم الثانوي نموذجاً"، المركز الوطني، واقع الدراسات التاريخية في الجزائر، منشورات وزارة المجاهدين، 2007، ص 175-178.

² عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج 1، ط 3، منشورات السائحي، الجزائر، 2010، ص 57-58.

³ عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث و المعاصر، ج 1، دار مداد، 2009، ص 136.

⁴ زهراء زرقين، "سياسة التعذيب والإدماج في المشروع الثقافي الاستعماري بجزائر القرن 19"، مجلة المعيار، ع 10، سبتمبر 2005، ص 291.

⁵ أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766.1791)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 8.

⁶ محمد دادة، المرجع السابق، ص 119.

⁷ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 المرجع السابق، ص 311.

⁸ عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 136.

⁹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، المرجع السابق، ص 311.

عليها في كتابة التاريخ الحقيقي (الاحتلال الفرنسي للجزائر) لهذه البلاد وقد بدأ هذا العمل الإجرامي الوحشي حين أحرق جنود الجنرال "دوق مال" مكتبة الأمير عبد القادر"، وقد وصف المؤرخ "ب أوزان" مؤرخ "الأمير عبد القادر" حالة تأثر الأمير بإحراق مكتبته قائلاً: "إن الأمير أصابته نوبة من الحزن العميق وهو يتبع آثار الطابور الفرنسي مسترشدا بالأوراق المبعثرة في الصحراء التي انتزعها الجنود الفرنسيون من الكتب التي عانى الكثير في جمعها"¹.

2-المرحلة الثانية:

بعد استقرار الأمر للاستعمار الفرنسي راح يحارب التاريخ الإسلامي والتاريخ العربي والآداب العربية من أساسها، ذلك لما يعلمه من تأثير التاريخ والآداب في إحياء الشعوب خصوصاً التاريخ العامر بالمفاخر المملوء بالمآثر كالتاريخ الإسلامي عموماً والعربي بوجه خاص²، فراح تغييب تدريس التاريخ الجزائري والإسلامي في المدارس الرسمية في إطار القانون الصادر عام 1904 الخاص بالمنظومة التعليمية، إذ استبعدت التاريخ العربي الإسلامي والتاريخ المحلي و جغرافية القطر الجزائري والأقطار الأخرى³، كما أنها اشترطت منح رخصة التعليم العربي الحر للمعاهد بمدارسها ومساجدها وزواياها باستبعاد دراسة التاريخ⁴.

وكان التأليف في تاريخ الجزائر الحديث على النحو الذي توجهه الأمانة العلمية والوفاء للوطن، أكبر جريمة يرتكبها المرء في نظر الاستعمار، يصادر الكتاب ويحاكم المؤلف، وتنزل عليه أقصى العقوبات، فتحاشى كتابنا التأليف في موضوع تاريخ الجزائر الحديث⁵، وهذا ما أدى إلى تقلص عدد المؤرخين أو ما يسمى بكتاب التاريخ خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، فهم يعدون على رؤوس الأصابع على سبيل الذكر "محمد المازري" أو محمد الصالح العنتري "أو" ابن الفكون" في القرن التاسع عشر، أو بعض ما يسمى مؤرخي المهجر الذين كتبوا من خارج الجزائر مثل "أبي حامد المشرفي" في المغرب و"محمد بن الأمير عبد القادر" في الشام⁶، أما بداية القرن العشرين فنذكر مثلاً "محمد بن أبي شنب" و"محمد مبارك الملي" و"توفيق المدني" و"عبد الرحمن الجيلالي".

وبالمقابل ومنذ (1880م) أجبرت الإدارة الفرنسية التلاميذ الجزائريين على دراسة تاريخ وجغرافية فرنسا فقط فيجبرون على ترديد أن أصول الجزائريين فرنسية (بلاد الغال)⁷،

¹ عبد الكريم بو صفصاف، المرجع السابق، ص136.

² محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ص118.

³ سعاد سطحي، "وسائل المشروع الثقافي في القضاء على الهوية الوطنية"، مجلة المعيار، ع10، سبتمبر 2005، ص56.

⁴ عبد الكريم بو صفصاف، المرجع السابق، ص140، 139.

⁵ محمد على دبو، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، عالم المعرفة، (د،م)، 2013، ص6.

⁶ جمال بجاوي، "واقع الدراسات التاريخية في الجزائر"، المركز الوطني، واقع الدراسات التاريخية في الجزائر، منشورات وزارة المجاهدين، 2007، ص43.

⁷ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص310.

وركزت على عظمة فرنسا وعلى قوتها وقوة حضورها التاريخي¹ فهم يدرسون تاريخ فرنسا بالتفصيل خلال مراحل التعليم².

كما عملت فرنسا على مسح وتشويه تاريخ الجزائر³، وحرصت على طمس الحقائق التي لا تجري على هواها⁴ في ذلك قال مبارك الميلي: "أن تزييف التاريخ مر بمراحل تمثلت المرحلة الأولى في محاربة اللغة وتوسيع مجالات الأمية، ثم تليها مرحلة تحفيف منابع الثقافة الوطنية وانسداد أبواب التعليم في وجه الجزائريين مما يضطرهم إلى تعلم اللغة الفرنسية، ولو بشكل محدود، ثم السعي من خلال ذلك التعليم الفرنسي المحدود إلى تحقير التاريخ الوطني لكي تنهياً في النهاية الظروف لوضع تاريخ للجزائر يتمشى والمنظور الاستعماري"⁵.

وبهذه السياسة التي مارستها فرنسا على تاريخ الجزائر خلال سبعة عقود، أصبحت هاته الأخيرة نسيا منسيا من قبل العالم عامة والأشقاء خاصة، حتى أصبح المؤرخون والمفكرون العرب عامة لا يذكرونها في مؤلفاتهم إذ ينتقلون من الحديث عن تونس إلى المغرب دون أن يحطوا بالرجال بالجزائر⁶، وهذا سبب انقطاع المراجع والبحوث حول الكتابة التاريخية الخاصة بها⁷، فبقي تاريخها الحديث من الاحتلال الفرنسي إلى قيام الثورة مفقوداً، لا تجده إلا في صدور الشيوخ والعلماء المسنين وفي المذكرات التي بقيت مخطوطة ومخبأة إلى اليوم⁸، أو ماتت بموت أصحابها أو تناستها الأجيال اللاحقة⁹.

لكن السؤال الذي يطرح هل بقيت هذه الصعوبات حجر عثرة تعرقل الكتابات التاريخية في الجزائر خلال الفترة المدروسة أم أنها عرفت مواجهة، خاصة ونحن نعرف أن الظروف سواء العالمية أو الإقليمية قد تبدلت مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؟.

¹ بن عميرة السعيد، "دور جمعية العلماء المسلمين في التصدي للمشروع الثقافي الاستعماري"، مجلة المعيار، ع 10، سبتمبر 2005، ص 31.
² يحي بو عزيز، موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب، ج 3، دار الهدى، 2009، ص 243.
³ خيثر عبد النور وآخرون، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007، ص 67.
⁴ محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص 118.
⁵ مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د،ت)، ص 31.
⁶ عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 140.
⁷ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، المرجع السابق، ص 310.
⁸ محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 6.
⁹ محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص 118.

فصل الأول

أولاً- انبعاث الكتابة التاريخية في الجزائر (ظروف ومرتكزات):

إذا كانت الحياة الفكرية والأدبية قد نهضت من سباتها مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وتمثلت ذلك في بروز كوكبة من القراء والأدباء الذين وصلوا بعلمهم إلى حركة التأليف، فإن المرحلة عرفت حركة انبعاث تاريخية معاصرة تماشياً مع التحول الذي أخذت به الجزائر مع بداية القرن العشرين، والذي أوجد مناخاً جديداً أسهم في تشجيع وفتح شهية بعض الأعلام الجزائرية التي أخذت على عاتقها مبادرة الكتابة التاريخية¹، هاته الأخيرة التي لا يمكن معالجتها دون معرفة الظروف التي أحاطت بها، والمرتكزات التي بنيت عليها، وهذا ما سنحاول التطرق إليه.

1-ظروف انبعاث الكتابة التاريخية في الجزائر :

بعد التأكد من عدم جدوى المقاومة الشعبية، وبعد التأكد من أن الجزائر مريضة يجب أن تشفى، ونائمة يجب أن تسترجع شبابها²، بدأت تعرف منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر حركة فكرية وسياسية أخذت على عاتقها مسؤولية الإصلاح الاجتماعي والسياسي، فبرزت ضد تعزيز النظام الاستعماري لأسسه مقاومة لا تقل عن سابقتها وهي "المقاومة الثقافية"³.

عرفت منذ بداية القرن العشرين نشاطاً مكثفاً، ومع نهاية الحرب العالمية الأولى أدخلت الجزائر مرحلة جديدة من تاريخها⁴، وبدأت الأذهان تفتتح، و العيون تبصر والآذان تصغي إلى ما يجري حولها من أحداث وتطورات فكرية وثقافية مشحونة بأفكار(الإصلاح، القومية، الوطنية، الجنسية)⁵، واعتبرت فترة ما بين الحربين فصلاً متميزاً من تاريخ الجزائر المعاصرة من زاوية تاريخ حركة الأفكار، لكونها كانت مرحلة محاض واختمار الأفكار التي سوف تشكل ذهنية المجتمع الجزائري وتبلور رؤاه حول مختلف الجوانب الحيوية، وتوجه مساره في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية⁶.

ولعله من أبرز خصائصها أنها كانت موجهة إلى اتصال الجزائريين بأسلافهم من جهة، ومد الروابط بين إخوانهم المشاركة من جهة أخرى، في محاولة للخروج من المعقل الروحي الذي جعلتهم فيه فرنسا بمعزل عن أمم العالم وبالأخص الأمم العربية.⁷

¹ أحمد مريوش، "مبارك الميلي شيخ المؤرخين الجزائريين"، المدرسة التاريخية الجزائرية، الجزائر، 1998، ص117.

² محمد علي ديبوز، المرجع السابق، ص44.

³ خير عبد النور وآخرون، المرجع السابق، ص44-77.

⁴ رابح لونيبي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954م)، كوكب العلوم 2009، ص21-22.

⁵ عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص141.

⁶ جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، مج 6، منشورات وزارة المجاهدين، 2009، ص109.

⁷ خير عبد النور وآخرون، المرجع السابق، ص121.

وجسدت هذه المقاومة فئتين من المثقفين الجزائريين، فئة ذات تكوين عربي إسلامي (منهم من زاول تعليمه في المدارس التقليدية الجزائرية ،ومنهم من أكمل دراسته في: الزيتونة ،القرويين ،الشام ، الحجاز ...، وغيرها من عواصم العالم الإسلامي) وفئة ذات ثقافة فرنسية بحكم تكوينهم في المعاهد والمدارس الفرنسية سواء في فرنسا أو الجزائر¹، ويضيف "علي دبور" فئة أخرى من المثقفين ،هي فئة مزدوجة التعليم بين العربية والفرنسية التي سيكون لها هي الأخرى دور هام في هذه المقاومة²، وقد استطاعت هذه الفئات أن تجد لها من الأسباب القوية ما يدفعها إلى تطوير أساليب النضال، بما يكفل لها الإفادة من تجارب الماضي وما أحاط بها من تطورات معاصرة هامة³ سواء بطريقة مباشرة عن طريق الاحتكاك والمعاشية أو غير مباشرة عن طريق الصحف والكتب، ومن هذه الأسباب نذكر ما يلي :

- ✓ . النهضة المشرقية وما كان يعج بها من أفكار الجامعة الإسلامية والقومية العربية، وذلك منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر⁴، وفي هذا الصدد يرى محفوظ قداش أن النهضة التي ظهرت في الجزائر كانت نهضة في شكل ظاهرة سياسية (هبة وطنية) ونزعة نحو ثورة سياسية وتطور إصلاحية ديني، بالإضافة إلى النهضة الأدبية العلمية⁵.
 - ✓ . الفكر الغربي مثل: مبادئ الثورة الفرنسية، فلاسفة عصر التنوير، والثورة البلشفية في روسيا سنة 1917م وما تحمله من أفكار ماركسية .
 - ✓ . الحرب العالمية الأولى بكل تأثيراتها السياسية، الاجتماعية والثقافية على الجزائريين⁶، وما زادته فيهم من وعي وغيرة عن الوطن⁷.
 - ✓ . الأحداث العربية البارزة: احتلال فرنسا لتونس 1881م، احتلال بريطانيا لمصر 1882م، احتلال المغرب الأقصى 1912م .
- كل هذه الأمور تابعها الجزائريون بوعي، لاسيما المثقفين⁸، الذين كان الكثير منهم كتابا خاضوا بأرائهم وأفكارهم وطروحاتهم في كثير من هذه القضايا⁹.

2- المرتكزات التي بنيت عليها الكتابة التاريخية في الجزائر :

¹ خيثر عبد النور وآخرون، المرجع السابق، ص121.

² محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، عالم المعرفة، (د،م)، 2013، ص10-11.

³ خيثر عبد النور وآخرون، المرجع السابق، ص86.

⁴ رابح لونيسي، المرجع السابق، ص22.

⁵ محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1919.1939م)، ج1، تر: أحمد بن البار، دار الأمة، 2008، ص307.

⁶ رابح لونيسي، المرجع السابق، ص22.

⁷ محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، المرجع السابق، ص31.

⁸ خيثر عبد النور وآخرون، المرجع السابق، ص88.

⁹ رابح لونيسي، المرجع السابق، ص18.

المرتكزات التي بنيت عليها الكتابة التاريخية في الجزائر: هي الأعمال التي قام بها ثلة من مثقفيها(الجزائر) في إحياء تراثها الثقافي، بتنشيط عملية التأليف والترجمة وإعادة طبع التراث المكتوب¹، مع بداية القرن العشرين لتقوية ما تبقى من الذاكرة التاريخية للبلاد²، وفي وقت كان فيه الجيل الجديد قد نسي في أغلب الأحيان مساهمات أجداده في الحضارة الإنسانية³.

وبوحي من روح النهضة بدؤوا يحاولون لأول مرة كتابة تاريخ أجدادهم، وبعث الحياة في وثائق غطّأها الغبار كتبت بلغتهم الوطنية⁴، عندما أحسوا بحاجة أمتهم إلى مسيرة الأمم العربية⁵، فراحوا ينشرون أعمال أصلية ونصوص قديمة في الجزائر⁶، وربما من أهم الأعمال التي ظهرت في ذلك الوقت مساهمات "محمد بن أبي شنب" لاسيما في "تحقيق المخطوط" ومساهمة "أبي القاسم الحفناوي" في "تعريف الخلف برجال السلف" لذا سنحاول الإلمام بمهذين المساهمتين.

أ- مساهمات محمد بن أبي شنب⁷:

قام محمد بن أبي شنب بعمل جبار في نشر التراث العربي الإسلامي، خاصة التراث الذي أنتجه الجزائريون أنفسهم، ساعده في ذلك عهد الوالي العام "شارل جونار" وما قدمه من تشجيع ومال وتوفير كل الشروط في سبيل ذلك⁸، فبسؤاله عن المخطوطات وقراءتها وفحص محتواها، وكشف الكتب القليلة التي أفلتت من مخالب المستشرقين الأجانب، استطاع بن أبي شنب بين سنتي (1904-1910م) أن ينشر العديد من كتب التاريخ والرحلات التي تخص تاريخ الجزائر وجد مخطوطاتها في الخزائن العامة، فنهج في إثبات نصوصها على الطريقة العصرية التي تعتمد على نسخ عديدة، ومراجعة أصول كثيرة يختتمها بفهارس متعددة مفيدة جدا . ومن بين أعماله نذكر :

¹ خيثر عبد النور وآخرون، المرجع السابق، ص87.

² حسن رمعون، "المؤرخون الجزائريون من مناضلي الحركة الوطنية"، تر: أمير مختار، ضمن كتاب النخب الاجتماعية حالة الجزائر ومصر، 2004،

³ خيثر عبد النور وآخرون، المرجع السابق، ص114.

⁴ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م)، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص133.

⁵ سعد الدين بن أبي شنب، "النهضة العربية بالجزائر من النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري"، مجلة كلية الآداب، ع1، ضمن كتاب إسماعيل العربي، الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص92.

⁵ Saadeddine bencheneb *quelque historiens arabes modernes de a l'Algérie, revue africaine*, vol,100, 1956, p476.

⁶ Saadeddine bencheneb. Op.cit. p476.

⁷ هو محمد بن العربي بن محمد أبي شنب (1866-1929م) ولد بالمدينة التحق بالتعليم سنة (1888م)، وعين أستاذا للعربية في كلية الجزائر، منحته الجامعة لقب "دكتور" في الآداب سنة (1920م)، كان يحسن الفرنسية وله إلمام جيد بلغات أخرى، انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق (1930م)، وعضوا في المجمع العلمي الاستعماري بباريس سنة (1924م)، مثل الجزائر في عدة مؤتمرات كانت له مكانة عالية عند المستشرقين، توفي بمدينة الجزائر، ينظر عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية ببيروت، لبنان، 1998، ص189-190، أيضا،

Mareth et Edmond gourion, Kitab **Aâyene el MARHARIBA**, INPRIMERIE Fontana frères Alger 1920, p156-157.

⁸ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996، ص158.

أ-1- الرحلة الحجازية :

مخطوط للشيخ "الحسين الوريثلاني" ¹ عنوانه "نزهة الأنظار في علوم التاريخ والأخبار" المعروف "بالرحلة الوريثلانية"، طبع في الجزائر سنة (1908م) ²، سجل فيه ما شاهده أثناء رحلاته إلى بيت الله الحرام، وأفادنا ببعض الفوائد عن وضعية الجزائر في النصف الأول من القرن الثاني عشر هجري ³.

أ-2- أربع معاجم لسير العلماء والأولياء ⁴ وهي:

✓ كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لأبي عبد الله محمد الشريف الملبتي التلمساني الشهير بابن مریم ⁵، طبع هذا الكتاب بالجزائر سنة (1908م) ⁶، أثبت نصه معتمدا على نسخ مخطوطة طلبها من جميع أنحاء البلد، وأهميته لا تقل عن أهمية رحلة الوريثلاني ولربما تفوقها، إذ صاحبه من رجال القرن العاشر، جمع (206) ترجمة لعلماء القرن (الثامن، التاسع والعاشر)، وقد أفادنا بأخبار وافية عن علوم تلك العصور، وبالأخص العصر الذي عاش فيه، كما أن مستواه الثقافي كان يبين لنا التيار الصوفي الذي حرك المغرب في ذلك الزمان، فكان من العوامل الفعالة في التطور الفكري والسياسي فيما بعد ⁷.

✓ كتاب بعنوان الدراية فيمن عرف من علماء في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني ⁸ طبع سنة (1910م) ⁹، من خلاله وصف ببجاية عاصمة المغرب الأوسط أيام ازدهارها السياسي وارتقائها الحضاري، ذكرا نشاط العلماء بها وغايتهم بالعلوم، وهو كتاب نفيس قام بدراسة وافية لاستخراج جميع المعلومات المبعثرة في التراجم، أعطانا من خلاله صورة واضحة عن حياة عاصمة ببجاية كما كان يراها صاحبها "عنوان الدراية" ¹⁰.

¹ هو الحسن بن محمد السعيد الورثلاني، ينتسب إلى أسرة علم تعود أصولها حسب الروايات المتداولة إلى شرفاء تا فاللت استقرت ببجاية ثم تحولت في عهد جده، إلى موطن قبيلة بني ورثلان بالقبائل الصغرى، ولد سنة (1713م)، أدى فريضة الحج ثلاث مرات توفي (1773م)، ينظر، ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، (د،م)، 1999، ص418.

² خيش عبد النور وآخرون، المرجع السابق، ص114.

³ سعد الدين بن أبي شنب، المرجع السابق، ص89.

⁴ خيش عبد النور وآخرون، المرجع السابق، ص114.

⁵ سعد الدين بن أبي شنب، المرجع السابق، ص89.

⁶ خيش عبد النور وآخرون، المرجع السابق، ص114.

⁷ سعد الدين بن أبي شنب، المرجع السابق، ص89-90.

⁸ ولد حوالي (1246) بمواطن قبيلة بن غبري البربرية بأعالي وادي سبوا قرب مدينة العزازقة حاليا تعلم بمسقط رأسه، ثم انتقل إلى مدينة ببجاية قريبة من موطنه، أين أخذ علوم التفسير والحديث والفقه والأصول والعلوم العربية والمنطق والتصوف، ثم ذهب إلى تونس ونال حضوة في البلاط الحفصي ولما عاد إلى ببجاية نفذ فيه حكم الإعدام وكان ذلك سنة (1304)، ينظر، ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص128-129.

⁹ خيش عبد النور وآخرون، المرجع السابق، ص114.

¹⁰ سعد الدين بن أبي شنب، المرجع السابق، ص90.

✓ طبقات علماء إفريقيا لأبي العرب ، وطبقات علماء إفريقيا لأبي عبد الله بن الحارث الخشني ، وطبقات علماء تونس لأبي العرب محمد التميمي ، طبع في تونس (1915-1920م) ، وقد نشرها محمد بن أبي شنب في الجريدة الآسيوية (1906م)¹ ، فحاء المجموع أنفس الكتب لمعرفة إفريقيا في عهد بني الأغلب ، أي العهد الأول من تاريخ العرب بهذه الأقطار² .

✓ الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية³ لمؤلف مجهول نشرها محمد بن أبي شنب بالتصحيح الوافي ، وقد أخذ صاحبه يذكر مفاخر تلك الأسرة من جهاد وغزوات وتأسيس مدن وتحصينها بالأسوار والقلاع ، وتحميلها ببناء المساجد .

إذن هذا نصيب من الخدمات الأستاذ محمد بن أبي شنب في سبيل معرفة العصور الغابرة بالجزائر ، كما قام زيادة على ذلك ببحوث كثيرة تتعلق بتاريخ الأندلس وصقلية والمغرب إضافة إلى مسامرة التاريخ الملموس والاعتناء به غاية العناية⁴ .

وليس ضروريا أن يمارس المرء السياسة ولكن من الضروري أن يكون له موقف منها ، فحرصه على نفض الغبار عن أكبر نصيب من المؤلفات العربية الإسلامية التي انتهجها الجزائريون أيام الحكم الإسلامي الزاهر تدل على وجهته الوطنية⁵ .

ربما ما يؤكد هذا الطرح هو ما ذهب إليه "عبد الرحمن الجيلالي" بأن الرجل كان عازما على تأليف تاريخ عام للقطر الجزائري يجمع تاريخه المشتت هنا وهناك ، مع التعرض لجغرافيته الطبيعية والاقتصادية ، والأحوال السياسية والاجتماعية التي تعاقبت عليه ، وذكر الحالة العلمية ، وتطوراتها وأنساب العائلات القديمة وتراجم أعيانها ، وقادة الفكر المشهورين ، وما إلى هذه النقاط التي لها أكبر أهمية في التاريخ وفي المجتمع الجزائري ، إلا أن المنية أدركته قبل هذا⁶ .

¹ خيثر عبد النور وآخرون ، المرجع السابق ، ص114 .

² سعد الدين بن أبي شنب ، المرجع السابق ، ص90-91 .

³ خيثر عبد النور وآخرون ، المرجع السابق ، ص114 .

⁴ سعد الدين بن أبي شنب ، المرجع السابق ، ص91 .

⁵ أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص160 .

⁶ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، محمد بن أبي شنب حياته وآثاره ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1983 ، ص33 .

ب - كتاب " تعريف الخلف برجال السلف " للحفناوي:¹

ألفه بطلب وتشجيع من الإدارة الفرنسية وعلى رأسها "دومنيك لوسيان" الذي كان يشرف على إدارة شؤون الأهالي في ذلك الوقت²، وقد ساعده في جمع المصادر مكانته في الوسط الثقافي³، والبيئة التي كان "العلم غايتها والبحث عن المصادر اللغوية والتاريخية محل عنايتها"⁴، ولعل الأمر الذي شجعه أكثر على وضع كتابه هذا هو أن القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كان عصر تراجع في أوروبا .

نشر الكتاب سنة (1907م) من طرف مطبعة "فونتا"⁵، وهو موسوعة تراجم تناول فيها مشاهير الجزائريين الذين ساهموا في التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي لبلادهم⁶ منذ القرن العاشر وحتى القرن العشرين.⁷

ضم الكتاب جزئين لم يرتبهما صاحبهما أي ترتيب، فالجزء الأول ضم مجموعة صغيرة من التراجم مع التوسع في حياة أصحابها، كما ضم هذا الجزء معلومات عن والد المؤلف، وعن الزوايا وبعض شيوخها، وكذلك بعض الشخصيات المعاصرة، أما الجزء الثاني فقد ضم ترجمة لمجموعة من علماء الجزائر والأقطار الأخرى كالسودان، والمغرب وتونس والأندلس.⁸

جمع الحفناوي في هذين الجزئين ما كان منشورا في كتب تاريخية عديدة يصعب في غالب الأحيان الوصول إليها، وأضاف عدة معلومات عن عائلته وعن مؤسسي الزوايا ومشايخها، كزاوية الهامل وزاوية بلاد القبائل، كما أفادنا بمعلومات عن بعض معاصريه ومشايخهم لا مثل لها، إذ كان تقييد الأخبار في زمانه بضاعة نادرة .

ورغم ما وجه من انتقاد للحفناوي وكتابه، منها أنه لم يراعي قواعد البحث الحديثة وأغراض التاريخ⁹ رغم اختلاطه بالأوربيين والعمل معهم سنوات طويلة¹⁰، من ذلك أن توجهه في التاريخ بقي بدائيا وكتابه شبيه

¹ هو محمد الحفناوي بن أبي القاسم الديسي بن إبراهيم الغول أبو القاسم (1852. 1941م) كاتب، شاعر، له اشتغال بالتاريخ، ولد ببلدة الديس بالقرب من مدينة أبي سعادة، وتعلم في زاوية ابن علي داود ببلاد زاوية، ثم في زاوية طولقة وزاوية الهامل، شارك في تحرير الجريدة الرسمية المبشر من سنة (1884م) حتى سنة (1926م)، ودرس بالجامع الكبير بمدينة الجزائر ابتداء من (1898م)، وتولى منصب الإفتاء المالكي سنة (1936م)، من أهم آثاره "تعريف الخلف برجال السلف للمزيد ينظر عادل نويهيض، المرجع السابق، ص121. لتوسع ينظر :

Saadeddine Benchenele, op cit p477.

² بوشناق محمد، "الكتابة التاريخية في الجزائر-العهد العثماني نموذج" مجلة عصور الجديد، ع3-4، 2011، 2012، ص150.

³ خديجة بقطاش، "أبو القاسم الحفناوي وكتابة تعريف الخلف برجال السلف"، مجلة الأصالة ع51، الجزائر، نوفمبر 1977، ص53.

⁴ سعد الدين بن أبي شنب، المرجع السابق، ص82.

⁵ خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص53.

⁶ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص137.

⁷ خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص53.

⁸ نفسه.

⁹ سعد الدين بن أبي شنب، المرجع السابق، ص81.

¹⁰ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص306-307.

بكتابات العصور الوسطى¹، التي يملأها نقل الأخبار فقط²، زد على ذلك الخرافات والمقاطع الشعرية التي أعاد كتابتها بمسيرة واضحة³، والاتجاه السياسي الذي تدخل في اختياره للشخصيات المترجم لها، فالحنفاوي قد أهمل بعض الشخصيات الهامة، ومن بينها الشيخ "الحداد" رئيس الطريقة الرحمانية، كما يلاحظ عدم التوازن في التراجم، بعضها قصيرة جدا وبعضها يضم عدة صفحات، إلا أن للكتاب ميزة بارزة، فقد ظهر في الوقت لم يتقدمه عمل آخر، ثم أنه ظل على أهمية للآن، فالمؤلفات التي ظهرت بعده كلها تقريبا تتخذه مرجعا، ولعل ذلك راجع إلى شموله لكافة العصور، ونقله العديد من مؤلفات تعتبر الآن مفقودة سيما بعد الثورة سنة (1954م)⁴.

هذا من جهة، من جهة أخرى هو عمل تاريخي عبر عن الوجود القومي الجزائري⁵، ورغم أن نية الفرنسيين كانت عند إذ هي المحافظة على طابع الجزائر الإسلامية الفرنسية، فإن النتيجة كانت عكس ما توقعوه فقد بعث تعريف الخلف في النفوس الحمية الوطنية والغيرة على التراث والاعتزاز بالآباء والأجداد⁶، وتلك هي غاية الحنفاوي فقد جاء في مقدمة كتابه: "الظاهر أن القطر الجزائري قد اجتهد قديما في طلب العلم بجميع أسبابه وأتاه من سائر أبوابه ووقف على معقوله ومنقوله، فتمكن من أصوله وفصوله، وكان لعلوم وقته جامعا ولرايتها رافعا، مثل أخويه المغربين الأقصى والأدنى، فظهر في الإقليم بدره، واشتهر في التاريخ قدره، بعلماء بنو تأليفهم على أركان التحقيق وحصنوها بأسوار التدقيق، فكانوا في عصرهم نجوم اهتداء وأئمة إقتداء، ولكن طواهم وأضرابهم فلك الانقلاب في مغارب الأفول، فذهبوا ولسان حالهم يقول:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار"⁷.

ويمكن اعتبار ظهور وهذا الكتاب صفحة جديدة في اليقظة الوطنية، والشعور بالذات السياسية سيما في الوقت الذي كانت فيه مدرسة النخبة المتفرنسة تدعو إلى الاندماج الكلي في فرنسا، والتخلص من كل روابط الماضي⁸.

إذن اعتبرت هاتين المساهمتين مادة خام ومصدر أساسي وأرضية لما تلاها من كتابات تاريخية، لاسيما كتابات "الميلي"، "المدني"، "الجيلالي"، الذين اعتبروا بمثابة الرواد الأوائل في إرساء ميلاد المدرسة الجزائرية الحديثة لكتابة التاريخ الوطني، ومن ثمة التصدي لكتابات المدرسة الفرنسية الاستعمارية، هاتين المدرستين اللتين سنحاول التطرق إليهما لمعرفة توجهاتهما العامة في كتابتهما التاريخية.

¹ Saadeddine Bencheneb:op cit, p 479.

² سعد الدين بن أبي شنب، المرجع السابق، ص81.

³ Saadeddine Bencheneb:op cit , p479.

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص433-435.

⁵ خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص52.

⁶ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج7، المرجع السابق، ص435.

⁷ أبو القاسم محمد الحنفاوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، دراسة وتحقيق، خير الدين شثرة، دار كردادة للنشر والتوزيع، 2013، ص501.

⁸ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص435.

ثانيا- التوجهات العامة للكتابات التاريخية في الجزائر :

قبل أن نتحدث عن التوجهات العامة للكتابات التاريخية في الجزائر ،لابد أن نتعرض لأمر مهم يتحكم في مهنة المؤرخ ،فمن الشائع أن الموضوعية هي الزاوية القطبية المتعارف عليها في مهنته ،وتؤول دائما على أساس أنها رفض لكل عمل له صبغة سياسية ،لكن هذه الوضعية ليست الإمكانية المتاحة ،بل هي مجارة دائمة بين الطموح العلمي الضروري الذي يتعد عن الرهانات السياسية ،وبين تجذر المؤرخ في مجتمعه وهو عامل لا يقل أهميته عن الأول¹.

فهناك شبه إجماع على أنه يستحيل أن يكون المؤرخ موضوعيا بصفته كائنا بشريا ،إذ أنه يتأثر بمحيطه السياسي والإيديولوجي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وانطلاقا من هذه الزاوية فإن المؤرخ دائما وأبدا سفيراً لبلاده فيما يكتب لوطن²، لذلك كله تعتبر الكتابات التاريخية بالذات ،كتابات توظيفية في الغالب الأعم ،والذين يكتبون التاريخ إنما هم في الحقيقة يوظفون التاريخ ،ويوظفونه غالبا لمصالحهم القومية³ ،يظهر هذا جليا لاسيما في الكتابات التاريخية للفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ،إذ بدأت تتأثر بالإيديولوجيات ،وبدأت كل دولة تحاول أن تستخدم التاريخ لتأييد وجهة نظرها⁴.

والسؤال الذي يمكن طرحه: هل ينطق ما سبق ذكره في التوجهات العامة للكتابات التاريخية في الجزائر خلال الفترة المدروسة؟.

1-المدرسة الفرنسية :

أ-الطبيعة والأهداف

مع مطلع القرن العشرين وبعد أن أصبح الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر في مرحلة وضوح واستقرار⁵ ،انطلق في كتابة تاريخ لها⁶ ،بعدها تجمعت له معطيات كافية حولها⁷ ،باعتماده على ما كتب العسكريون والإداريون (1830-1880م)،ومنذ تأسيس المدارس العليا بالجزائر تطبيقا لقانون (1880م)، وافتتاح الجامعة الجزائرية عام (1909م)⁸ التي ساهمت في إثراء النقاش العلمي حول تاريخ الجزائر وعلاقته بالاستيطان⁹ ،

¹كلود ليوز وجيل منصور ،الاستعمار والقانون والتاريخ، تر: بشير بولفراق ،دار القصة ،2007،ص116.

²صادق دهاش "إشكالية المدرسة التاريخية بين الأمس واليوم" ،المدرسة التاريخية الجزائرية ،الجزائر 1998،ص51.

³محمد الطاهر العدواني ،"حول المنهج العلمي لكتابة تاريخ الثورة" ،المدرسة التاريخية الجزائرية ،الجزائر 1998،ص37.

⁴فلالي السايح ،المرجع السابق ،ص11.

⁵عميرواي أحميدة ،محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ،ط2،دار الهدى ،2004،ص14.15.

⁶أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ،القسم الأول ،ط2،الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ،1981،ص20.

⁷عميرواي أحميدة ،المرجع السابق ،ص18.

⁸أبو القاسم سعد الله،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،القسم الأول،المرجع السابق،ص22،20.

⁹عميرواي أحميدة ،المرجع السابق ،ص15.

تطور الإنتاج التاريخي الفرنسي¹، خاصة عندما حان الاحتفال بمرور مائة سنة على الاحتلال، بوضع دراسة تركيبية عن تاريخ الاستعمار في الجزائر وعن جهود فرنسا الحضارية فيها، مع نظرة نقدية شاملة لما تحقّق في ميدان الكتابة التاريخية حتى ذلك العهد. منطلقين في كتابتهم لتاريخ الجزائر من عدة معطيات أهمها، كونهم شعبا متحضرا حكموا شعبا متخلفا وكونهم مسيحيين قبضوا على زمام شعب مسلم، كل هذا اعتبروه نوعا من الحتمية التاريخية التي حددت منهجهم الذي تطور مع الزمن كلما ازدادوا صلة بالجزائريين².

ومن أهم المؤرخين الذين برزوا خلال ذلك العهد "ريني باسي"³ الذي اختص بالدراسات اللغوية واللهجات المحلية، و"دوتي"⁴ الذي كرس جهوده للأبحاث الاجتماعية و"جورج إيفير" الذي اهتم بتاريخ الاحتلال، و"ستيفان غزال" الذي تخصص في تاريخ شمال إفريقيا القديم و"مارسيل إيميرت" الذي اهتم بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية للأهالي خلال العهد الفرنسي و"ياكون" الذي تناول قضايا الاستعمار والمكاتب العربية ويضاف إلى هؤلاء عدد من المهتمين بتاريخ شمال إفريقيا (1880م) فيفرنسا نفسها أمثال "شارل أندري جوليان"⁵.

ولما كانت كتابات هؤلاء المؤرخين وأبحاثهم تهدف إلى خدمة الإدارة الاستعمارية، فإن تسهيلات وتشجيعات مادية ومعنوية قد توفرت لهم سواء أثناء وجودهم على كرسي التدريس أو أثناء تنقلاتهم بحثا عن المعارف والمصادر⁶، فقد كانت كتاباتهم ذات طابع إيديولوجي ذو أحكام مسبقة وآراء مبدئية ونظرة متحيزة وذلك سعيا لتهميش المجتمع الجزائري وتحجيمه وتقليصه في أضيق النقاط بالنسبة لجميع فترات التاريخ عبر العصور.

هذه المنطلقات التي كانت في بدايتها ترمي إلى تحقيق أغراض سياسية بحتة تحولت بعد ذلك إلى قناعات لا تقبل الجدل، واستمرت على هذه الدرجة من اليقين على مر الأجيال دون أن يتم فحصها والتأكد منها⁷، فقد وضعت وفق هدف محدود وخطة مدروسة وأفكار مسبقة تشجيعا من حكومة الولاية العامة للجزائر، التي كانت ترمي إلى إضعاف الوعي القومي بماضينا وإبعاد الناشئة عن الاعتزاز بأحداثه والتعلق بمآثره والالتزام بقضاياه، أو بتعبير آخر إحالة التاريخ الجزائري على المعاش، والقضاء على ذاكرة الشعب الجزائري⁸، ولذلك فأغلب المؤرخين الفرنسيين لم يستطيعوا تجاوز الإطار الذي رسم لهم، فجاءت كتاباتهم لتبرير الاستعمار وتشويه تاريخ الحركة

¹ حنيفي هلايلي، أوراق من تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، 2008، ص103.

² أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، المرجع السابق، ص26، 17.

³ René Basset, Recherche sur la religion Des Berbères, Paris, 1910.

من بين كتبه ينظر

من بين كتبه ينظر

⁴ Edmond Douuté, Magie & Religion Dans L Afrique Du Nord, Alger, 1909 Note sur l'islâm Maghribin

Marabouts, paris, 1900.

⁵ أبو القاسم سعد الله، "منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر"، مجلة الأصالة، ع14-15، ماي، جوان، جويلية، أوت 1973، ص13.

⁶ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص24.

⁷ جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص15، 28.

⁸ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، دار الغرب الإسلامي، (د،ت)، ص196-197.

الوطنية بدعاوي مختلفة، أحيانا بأنها نزاعات قومية عصبية غرضها رمي الفرنسيين في البحر، وأحيانا أنها لا تستند إلى قوة شعبية، أو أنها مرتبطة بالخارج وما هي إلا أبواق للدعاية الأجنبية كالجامعة الإسلامية، أو الفاشية، أو النازية..... الخ¹.

وقد كان "ستيفان غزال" صريحا في إخضاع علم التاريخ لمتطلبات الاستعمار، حينما حمل التاريخ مسؤولية محددة ذات علاقة مباشرة بخدمته للاستعمار، والمنطق الذي يتحكم في هذا الاتجاه هو منطق "تبرير الاستعمار" فقال في مقدمة كتاب "تاريخ الجزائر ومؤرخوها": "يسطر التاريخ لنا واجباتنا (أي بالنسبة للجزائر)، وهي تمثل في إرادتنا المصممة على أن نكون أسيادا في كل مكان وإلى الأبد... إن هذا التاريخ إذا لا يعتبر في إفريقيا هو أقل العلوم جدوى"².

وأكب هذا الاهتمام بالتاريخ من الناحية السياسية تبني سياسة الإدماج وفرنسة الجزائر، مما يحتم عليهم التمهيد لطمس معالمها في المستقبل، فالمدرسة وعنصر الزمن كفيلاان بتحقيق هذه الغاية السياسية المكشوفة وبالتالي فهذه المدرسة التاريخية تعتبر نفسها جزءا لا يتجزأ من كيان قائم متمثل في الوجود الاستعماري، وهي ترى أن من واجباتها أن تقوم بدورها في تدعيم هذا الكيان وترسيخ دعائمه في مجال اختصاصها³، أي هدفها كان سياسي يتنافى وقيم البحث ولا يتماشى وشروط الموضوعية⁴، فالتاريخ كان أحد الأركان الثلاث لفرنسية الجزائر إلى جانب محاربة الإسلام والقضاء على اللغة العربية بإلغاء الخصائص الوطنية للتاريخ⁵.

ب - المضمون وخصائصه:

عملت المدرسة الفرنسية الاستعمارية على معارضة تفسير التاريخ الجزائري تفسيراً وطنياً آمناً، فسلطت الأضواء على الحقب السوداء والمظلمة من تاريخ الجزائر القديم والحديث⁶، وراحت تردد نغمة سوء حظ الجزائري يقولون أنه من سوء حظهم أنه لم يدرك أن الغزو الروماني ذو طابع حضاري، وأنه اعتنق الإسلام وأنه سقط ضحية لهمجية بني هلال وأنه كان قاعدة القرصنة العثمانية⁷...، وركزت الأدبيات الفرنسية على أنه لم يحدث أن كان للدولة الجزائرية وجود البتة عبر التاريخ، وكما ركزت هذه الأدبيات على أن سكان الجزائر هم عبارة عن خليط من أجناس مختلفة وأشتات من قبائل متنافرة لا تجمع بينهم رابطة الشعور والانتماء إلى أرض واحدة وينعدم بينهم الانسجام والتلاحم والتفاهم.

¹ أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، مطبعة العربية، غرداية، 2004، ص 95-96.

محمد الميللي، "نماذج من تشويه بعض المؤرخين الأجانب لتاريخ الجزائر"، مجلة الأصالة، ع14-15، ماي، جوان، جويلية، أوت، 1973، ص 61.

³ جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 18-23.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، المرجع السابق، ص 64.

⁵ مبارك بن محمد الميللي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 1، المصدر السابق، ص 29.

⁶ أحمد سليمان، "إشكالية كتابة التاريخ الوطني"، المدرسة التاريخية الجزائرية، الجزائر، 1998، ص 69.

⁷ عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1996، ص 27.

و قد أكدت أن الوطنية أوجدتها فرنسا بفضل الإصلاحات التي أدخلتها والتنظيمات الإدارية والاقتصادية والمالية التي أقامتتها في البلاد، مما أوجد شروط "موضوعية" لظهور ونمو هذه الوطنية¹، فأكثر الفرنسيون الحديث على أن الجزائر لم تكن شيئاً مذكوراً قبل الاحتلال الفرنسي وادعوا أنها كانت ممرًا للمحتلين الذين يتداولوا عليها الغالب بعد الغالب، وأنها لم تكن دولة في يوم من الأيام، وأن فرنسا هي التي صنعتها وألحقتها بها فهي ابنتها عند البعض، وهي فرنسا الصغيرة عند الآخرين، كما ادعوا أن الفرنسيين هم الذين حققوا الأمن والرخاء ونظموا البلاد وجعلوا الجزائر جنة فوق الأرض².

وحاولوا إبراز كل الحقب التي مرت بها الجزائر نوعاً من السيطرة الأجنبية، القرطاجيون ثم الرومان ثم الوندال، ثم البيزنطيون، ثم العرب ثم الأتراك، ثم الاستعمار الفرنسي الذي يعتبر في طرحهم آخر الفاتحين وأكثرهم تحضراً³، كما نظروا للجزائر على أنها جزء من الغرب اغتصب وافتك من طرف الشرق في مناسبتين، الأولى عند الفتح الإسلامي (ق7م) والثانية مع ظهور الأتراك وتأسيس إيالة الجزائر (القرن 16م)، كما لم تعدوا الجزائر بهذا المفهوم تتجاوز لفظاً اخترعه الفرنسيون (L'Algérie) ليطلقوه على جزء اقتطع اعتباراً من إفريقيا الشمالية حسب تعبير غزال⁴، بالمقابل عملوا على إهمال وتشويه العصور الإسلامية من تاريخ الجزائر فاعتبروا "غوتي" مثلاً "عصوراً مظلمة"⁵.

هذا من ناحية مضمون الكتابات التاريخية الفرنسية، أما من ناحية خصائصها فرغم إنتاجها الوفير، وتنوع الاهتمامات والميل إلى معالجة المواضيع المتخصصة ومحاولة استخدام تقنيات البحث التاريخي في معالجة ما توفر لها من معلومات تاريخية، إلا أن هذا الإنتاج ظل يتميز بقلّة العمق والتسرع في الأحكام والسطحية، وهذا راجع إلى عدة أسباب منها:

✓ التركيز المفرط على المصادر الغربية والاعتماد المطلق على الأرشيفات الأوروبية والإهمال المتعمد للمصادر العربية والوثائق المحلية⁶، نظراً لتشكيك في نزاهتها ومصداقيتها واتهامها بالتجريد والمبالغة⁷.

¹ جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص27.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص305.

³ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، المرجع السابق، ص197.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص35.

⁵ مبارك بن محمد المليي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، المصدر السابق، ص29.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، المرجع السابق، ص63.

⁷ حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص102.

- ✓ التركيز على بعض الجوانب لبعض الفترات وإهمال الباقي بالإضافة إلى التجرؤ على كتابة عصر أو عصور بكاملها وفق قالب معين تم رسمه مسبقا لصب الوقائع والأحداث فيها صبا¹.
- ✓ وجهة نظر فرنسية غير متكاملة ينقصها الترابط والتنسيق، رغم المدة الطويلة التي استغرقتها والجهود التي تطلبتها نتيجة اختلاف المستويات الثقافية لمؤرخيها².

1- المدرسة الجزائرية الوطنية :

أ- الطبيعة والأهداف :

تعتبر كتابات المدرسة الوطنية إحدى مقومات الحركة الوطنية الجزائرية³، فلقد كانت سلاحا هاما ضد سياسة التشويه والتغليب التي انتهجها الاستعمار في حق تاريخ الجزائر⁴، ووسيلة إعلامية لمجابهة الأطروحات الاستعمارية والأحكام العنصرية⁵ ومحاربة إيديولوجيتها بإيديولوجية مضادة، لذا تعتبر نشأة التأريخ الوطني رد فعل لتأريخ الاستعماري يرتكز على ما ينتجه الخصم من أجل إعداد خطاب مضاد يمكن أن يساند الكفاح الوطني⁶، فمنذ البداية وجد المؤرخ الجزائري نفسه أمام ضرورة جادة هي (كتابة تاريخ بلاده)، لا لكي يدفع عنها كل تصور خاطئ فحسب، ولكن من أجل أن يبحث ضمنه عن الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها عليه الرهان الوطني: رهان الحفاظ على الشخصية الجزائرية ومقوماتها التاريخية، يأخذ مادته من الكتابات الأوروبية وينهج نهجها، ولكن يعارضها في أحكامها ومراميها الأيديولوجية⁷.

نجد هذا الطرح يزداد خاصة بعد الاحتفالات المئوية المخدلة للاحتلال في (1930م)⁸، مما أوجد فرصة للرد على أطروحات المؤرخ الفرنسي وتفنيد مزاعمه⁹، ومحاولة تصحيح المغالطات التي أُلصقت بالتاريخ الجزائري¹⁰ وعليه كان همه الأكبر هو المحافظة على ما تبقى من وطنية موجهة لرفع الهمم وشحذها، وغرس الروح الوطنية في ظل الاحتلال حتى تبقى محافظة على تاريخها وعروبته وأصالتها¹¹، محاولة منه لربط الأجيال بماضيهم التليد

¹ جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص22.

² ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص11.

³ ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص43.

⁴ بوشناف محمد، المرجع السابق، ص149.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وأفاق، المرجع السابق، ص68، وينظر أيضا، ناصر الدين سعيدوني، "التاريخ وأهميته في بناء الوطن"، المرجع السابق، ص54.

⁶ حسن رمعون، المرجع السابق، ص589.

⁷ محمد غالم، "براديقا المقاومة في الخطاب التاريخي الإصلاحي، أحمد توفيق المدني نموذجا"، مجلة عصور الجديدة ع 3-4، 2011-2012، ص193.

⁸ بوشناف محمد، المرجع السابق، ص149.

⁹ أحمد صاري، المرجع السابق، ص3938.

¹⁰ بوشناف محمد، المرجع السابق، ص150.

¹¹ صادق دهاش، المرجع السابق، ص53.

وإشراكهم في الحضارة الإنسانية، وتعريفهم على تاريخهم الموغل في أعماق التاريخ¹، كما كانت تهدف لتلقين الدروس وتقديم العظات وتقوية الشعور الوطني والنزعة القومية في الأمة، من أجل تربيته النشا وتكوينه تكويننا سياسيا وثقافيا يجعله دوما متمسكا بأصوله، غيرا على الحضارة التي ينتمي إليها².

وبالتالي هي تعكس وجهة نظر الكتاب الجزائريين³، التي تعبر بصدق عن الشعور الوطني الفياض الذي صاحب اليقظة الجزائرية منذ القرن العشرين⁴، الأمر الذي جعل "صادق دهاش" يرى في كتابات هذه المدرسة على الرغم من الوطنية المخلصة لروادها، ونواياهم الحسنة إلا أنها لم تكن كتابات أكاديمية، ويضيف أن اقتصرها على جمع المادة وتوفيرها بهدف توجيه الجيل الجديد آنذاك نحو الاستقلال، صبغها بالصبغة السياسية الشبه المحضة⁵.

وربما الشيء نفسه هو الذي دفع كتاب مثل "دي بارمي" و"سعد الدين ابن شنب" إلى وصف هؤلاء الجزائريين بأهم كتاب ملتزمون، ومناضلون يستخدمون بطريقة أو بأخرى "علم التاريخ" لمحاربة نظام سياسي يرونه ممثلا في الاستعمار الفرنسي⁶، وفي هذا الصدد يرى "شارل أندري جوليان" أن التاريخ بالنسبة للعربي - يقصد سكان شمال إفريقيا بما فيهم الجزائر - يستعمل لفائدة الدعاية مدفوعين بقوة الإحساس الوطني، فيستغل لتأييد المسلمين في افتخارهم بالماضي وثقتهم بالمستقبل، وأن الانحطاط مرده الاحتلال الأجنبي باستنادهم إلى وثائق منفردة يتغافلون على نقدها وتمحيصها، وهو ما عبر عنه في صفحات أخرى بعنوان "إستغراء التاريخ"، وذلك عندما أعطى المؤرخون الجزائريون النصوص والوثائق أكثر مما هي تعني، أو حتى ما لم تعني حسب تعبيره من أجل تبرير تصرفات، ونقد تصرفات أخرى⁷.

ورغم ما يؤكد على وجهة النظر هذه من كونها لا تتعدى حسب المفهوم التاريخي الآن مساهمة عاطفية غير متكاملة يغلب عليها الطابع السياسي، ويتحكم فيها منهج التاريخ التعليمي الهادف، إلا أننا نرى فيها انعكاسا صادقا وشجاعا لوجهة نظر جزائرية لا تخلو من وزن حقيقي، وقيمة أدبية ثابتة فهي على الأقل عملية رفض أحكام واستنتاجات وجهة النظر الفرنسية تحيط بها الظروف صعبة، وتواجهها عراقيل وعوائق جمة⁸.

¹ مسعود كواقي، المرجع السابق، ص58.

² عمار هلال، "مكانة المصادر العربية في كتابة التاريخ الوطني الجزائري، (1930-1962م)"، مجلة بحوث ع 2، معهد التاريخ الجزائري، 1994، ص112.

³ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في التاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص16.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، "التاريخ وأهميته في بناء الوطن"، المرجع السابق، ص53.

⁵ صادق دهاش، المرجع السابق، ص53.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص45-46.

⁷ شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسيير، تر: المنجلى سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1976، ص32، 320.

⁸ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص46.45.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى هي محاولة شل قدرة التأثير الإستلابية للمدرسة الفرنسية على أجيال من الجزائريين، إذ تمكنا من حصر تأثيرها السلبي في نطاق شريحة ضئيلة جدا تقف على هامش المجتمع الجزائري ودون أي تأثير لها عليه¹، وكأنهم أرادوا تحقيق فائدة من فوائد التاريخ التي تحدث عنها فيلالي السايح في أعمال الملتقى الوطني الثالث للبحث الأثري والدراسات التاريخية بولاية المسيلة سنة (1995م)، حين قال: "إن أهم فائدة لتاريخ هي أنه يبيّن لكل جماعة الإطار الذي يجب أن يحكم تطورها والاتجاهات التي يجب أن تسير فيها عملية تقدمها حتى لا تخرج جماعة من سباق عملية التطور من جلدها فتتطور إلى جماعة أخرى، أو تندمج فيها وهي لا تدري"².

ب- مضمون كتابات المدرسة الجزائرية الوطنية :

كتابات تاريخية قليلة لا تخرج في مضمونها عن التناول الإجمالي للأحداث³، دونها أصحابها في فترة عصبية (الاحتلال)⁴، وملابسات ظهرت فيها الدعوة الإصلاحية وتبلورت فيها الحركة الوطنية⁵، جاءت أغلبها معارضة للنظريات الاستعمارية وإبراز الأمة الجزائرية ووصف مختلف المقاومات ضد التدخل الأجنبي، وإظهار مدى تقدم الجزائريين في مختلف المجالات⁶، كما كذبوا فكرة انتساب الجزائر إلى بلاد الغال، وأبطلوا خرافة "قانون الإلحاق" الصادر عن فرنسا سنة 1834م، بل اعتبروا الكتابات التاريخية الفرنسية بمثابة سياسة استعمارية لا غير جاءت لخدمة المنظومة الاستيطانية⁷،

ولان الكتاب الفرنسيين آنذاك عمدوا إلى تمجيد العهد الروماني وربطه بالوجود الفرنسي، وتشويه الفترة الإسلامية التي نعتوها "بالعصور المظلمة"⁸، كما فعل "غوتيه" ذهب المؤرخون الجزائريون إلى عكس ذلك بمنطق لكل - فعل ردت فعل - فمن جهة عمموا فكرة الاستعمار الفرنسي على الفترة القديمة وانتهوا إلى اعتبار أن الاستعمار الفرنسي الحديث يحمل في طياته ونواياه الاستعمار الروماني القديم⁹.

¹ جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص50.

² فلالي السايح، المرجع السابق، ص10.

³ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، المرجع السابق، ص203.

⁴ صادق دهاش، المرجع السابق، ص53.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، المرجع السابق، ص203.

⁶ رابح لونيسي، المرجع السابق، ص59.

⁷ أحمد مريوش، المرجع السابق، ص18.

⁸ ظهرت الكتاب على طبعات وعنوان مختلفة الأولى سنة 1927، الثانية 1937م، والثالثة 1953م، نشرت أجزاء منه في المجلة الإفريقية من ذلك

ينظر:

Gautier(E, F), **Considération sur l histoire du Maghreb**, Revue Africaine, Vol 68, 1927, P46 -73.

⁹ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، المرجع السابق، ص203.

هذا من جهة من جهة أخرى توجهوا إلى بطون الكتب يبحثون عن أجمي فترات تاريخنا المجيد ليطلع الخلف على ما بناه وأنجزه السلف من بطولات أجهرت القريب والبعيد رغم الإمكانيات المحدودة¹، لأن التاريخ بالنسبة إليهم ما هو إلا إعادة دائمة للأحداث، وبالتالي يصبح التغلب على المشاكل الحاضر رهيبنا بمعرفة أحداث الماضي وتفهم اتجاهاته، وقد عبر عن هذه الفكرة "مبارك الميلي" عندما كتب في مقدمة كتابه "تاريخ الجزائري في القديم والحديث" بأن "التاريخ مرآة الغابر، ومرقاة الحاضر..."².

حيث يعتبرون أن تاريخ الجزائر القديم والحديث سلسلة مترابطة الحلقات، ووحدة متكاملة ضمنها تكونت الشخصية الجزائرية بأبعادها السياسية والثقافية، وحين يتعرضون لظاهرة الاستعمار يتصورونها خرقا لهذه الاستمرارية التاريخية، وقطيعة مع الوجود التاريخي لامتهم، لأنهم يقرون دوما أن الاستعمار يتنافى مع النمو الطبيعي للأمة الجزائرية، وهو رغم طول مدته ظاهرة عرضية في صيرورة الأمة أعاققت تطور مقوماتها الاجتماعية والثقافية فالمقاومة المناهضة للاحتلال تجسد صمود الشعب ومواجهته للتحديات الاستعمارية³.

بعد هذه الإمامة حول التوجهات العامة للكتابة التاريخية في الجزائر خلال الفترة المدروسة، يمكن القول أنه من الصعب جدا أن نتحدث عن كتابة تاريخية موضوعية وعلمية خالية من الانتقاء والتوظيف، خاصة إذا أدركنا الوضع الاستعماري الذي كانت تعيشه الجزائر، مع العلم أن هذا الاستعمار كان يوظف ويستخدم التاريخ لتبرير أعماله، وإنكار وجود الأمة المضطهدة وطمس ذاكرتها ولهذا الأسباب كلها فان الكتابات التاريخية في الجزائر كانت نابعة من منطلقات إيديولوجية وتوجهات سياسية⁴.

¹ صادق دهاش، المرجع السابق، ص53.

² ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص45.16.

³ محمد غالم، "براديقما المقاومة في الخطاب التاريخي"، المرجع السابق، ص197.

⁴ رابح لونيبي، المرجع السابق، ص59.58.

فصل الثامن

كما أسلفنا الذكر أن نخبة من المؤرخين الجزائريين رفعوا التحدي، للرد على المؤرخين الفرنسيين الذين عملوا على تغييب تاريخ الجزائر واستبداله بتاريخ يتلاءم ومخططهم الاستعماري، فبدأت حركة التأليف التاريخي تظهر وإن كانت ضئيلة وبطيئة، إلا أنها تراكمت شيئاً فشيئاً حتى صار لها رأي اتجاه تاريخ الجزائر¹، كان السبق فيه للنخبة الإصلاحية، التي انفردت بخصوصيات متميزة في الطرح والمنهج والفكر، فجاءت كتابات كل من الميلي و المديني التي فرضت وجودها في سبيل تثبيت الهوية الجزائرية، وسلاح في وجه المخططات الاستعمارية.

أولاً- كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" لمبارك بن محمد الميلي²:

1- ظروف صدوره :

كتاب ظهر في ظروف استعمارية قاهرة، لا سيما اتجاه رجال الإصلاح ورجال الحركة الوطنية³، وفي وقت حسب العالم أن الجزائر لم تعد عربية، وأن الفرنسية خيمت على عقول سكانها وجرت على ألسنتهم⁴، ضف لذلك استمرار السياسة الاستعمارية في إخضاع تاريخ الجزائر ومحاولة إلغاء الخصائص الوطنية له⁵، فأثروا بذلك على عقول فئة من الجزائريين التي أصبحت تنكر أن للجزائر تاريخ جدير بالإطلاع والدراسة⁶.

ولما رأى الميلي أن تاريخ الجزائر كان ميتاً في اللغة العربية، إلا ما تجده مفرقا في بطون التواريخ العامة ومفكري الجزائر في أشد التعطش إليه⁷، وبعد النظر في هذه الأمة التي وجد فيها نوعاً من الحرية، وأنس منها تشبثاً بدينها ولغتها وحضارتها تقاليداً، عمد إلى تاريخ يوضح لها هذه المعالم قبل أن ينقلب أمر الأمة إلى غير ما كانت عليه، ويتغير على نحو سريع بفعل التأثيرات الدعائية الاستعمارية أو بفعل التطور الحضاري، لأنه كان يعلم أن تأثير هذا الكتاب، وقيمتها النفسية والروحية والأخلاقية يكاد يساوي ثورة عسكرية قائمة بنفسها ضد

¹ بشير كاشة الفرحي، صفحات مشرقة من تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1951.1953م)، جريدة "المنار" نموذجاً ج 2، العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر، 2010، ص 198.

² هو مبارك بن محمد بن مبارك الميلي (1898. 1945 م)، مؤرخ و كاتب من رجال الإصلاح ولد في ميله (القبائل الصغرى)، وتعلم بتونس، فخرج من جامعة الزيتونة بشهادة التطويح، وعاد (1922م) إلى الجزائر فعمل في حقلي التعليم والكتابة، كان من أقطاب جمعية العلماء، وألح كتابها يطلق عليه "فيلسوف الحركة الإصلاحية"، من آثاره " تاريخ الجزائر القديم والحديث" -موضوع دراستنا -، ينظر، عادل نويهيض، المرجع السابق، ص 325، ينظر أيضاً، محمد البشير الإبراهيمي "حياة مبارك الميلي"، البصائر ع 26، 8 مارس 1948، ص 1-2.

³ أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 121.

⁴ عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925. 1954)، ط 2، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 188.

⁵ مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 1، المصدر السابق، ص 5.

⁶ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، المرجع السابق، ص 305.

⁷ مجهول، "كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، الشهاب، ع 160، 16 أوت 1928، ص 16-17.

الاستعمار¹ وفي سبيل ذلك تحدى الميلي صعوبات كثيرة واجهته ،كتكوينه التقليدي ،وثقافته العربية الإسلامية الخالصة بالإضافة إلى عدم إتقانه اللغة الفرنسية التي كتبت بها أغلب مراجع التاريخ الجزائري² ، مع ما كان يعاينه من ظروف صعبة ألمت به لاسيما خلال كتابه للتاريخ الجزائري في أجزائه الأخيرة .

1- مضمون الكتاب :

طبع الجزء الأول من الكتاب في وقت مبكر من عمر الحركة الوطنية في سنة 1928م، وبعد مضي أربع سنوات من ذلك وفي سنة (1932م) طبع الجزء الثاني³ ، حيث خصص الجزء الأول من هذا الكتاب لتاريخ الجزائر في العهود القديمة ، وتناول المحاور الآتية: جغرافيا الجزائر الطبيعية ، في ذكر قدماء الجزائر أهل العصر الحجري ، في ذكر البربر وأصولهم وقبائلهم وما يرتبط بحياتهم ، في ذكر الفينيقيين وأخبارهم ، في ذكر البربر وملوكهم على عهد قرطاجنة ورومة الجمهورية ، في ذكر الرومان وأحوالهم مع البربر في ذكر الوندال ومآل أمرهم في ذكر الروم ومصير دولتهم ، وهي تغطي صفحات وصل عددها إلى حوالي (400) صفحة⁴ .

أما الجزء الثاني من الكتاب فخصصه لتاريخ الجزائر في العهود الإسلامية ويتضمن المحاور الآتية : في غزو العرب الإفريقية وتأسيس إمارتهم بها ، في الدولة الرستمية ، في الدولة الإدريسية ، في القبائل البربرية الجزائرية ، في الدولة الحمادية ، في دولة المرابطين ، في الدولة الموحدية المؤمنية ، في أحوال العرب لعهد الحفصيين والزيانيين والمرينيين في الدولة الحفصية ، في دولة بني مرين ، في دولة بني زيان⁵

وقد تم الإعلان عن هذا الجزء كسابقه في الشهاب ، وكان يعرف هذا العمل بالتقريب للكتب قبل توزيعه من طرف المطبعة الإسلامية التي تم فيها الطبع ، كما تم إعطاء صورة إجمالية ومثيرة عن محتوى هذا الكتاب في عدد آخر من المجلة السابقة الذكر من أجل حث أبناء الجزائر والشرق العربي على شرائه⁶ .

فأثبت من خلاله أن الأمة الجزائرية ليست جزءا من الأمة الفرنسية ولا متأثرة بالوجود الروماني القديم ، فلم تكن الجزائر أرضا بدون قانون ولا رعية بدون راع ولا شعبا بدون حاكم ، بل كانت كغيرها من الأمم ،

¹ عبد المالك مرتاض ، المرجع السابق ، ص 188-189 .

² أحمد صاري ، المرجع السابق ، ص 28 .

³ أحمد مريوش ، المرجع السابق ، ص 119-122 .

⁴ مبارك بن محمد الميلي ، المصدر السابق ، ص 41 .

⁵ مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج 2 ، تقديم وتحقيق محمد الميلي ، مؤسسة الوطنية للكتاب (د ، ت) ، ص 1-490 .

⁶ مجهول ، "تاريخ الجزائر في القديم والحديث للأستاذ مبارك بن محمد الهيلالي الميلي" ، الشهاب ، ج 5 ، ص 8 ، أوت 1932م ، ص 442-443 .

وأن ما أصابها من الاحتلال كان نصيب غيرها منه مثيلاً¹.

ركز على المقاومات البربرية لمختلف الغزاة، كما تطرق إلى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لكل مرحلة من المراحل التي مرت بها البلاد، مع إشارات منه إلى أصل السكان الأصليين (أي البربر)، إضافة إلى أصول الغزاة الذين مروا على الجزائر.

اهتم بكتابته بتاريخ الشعب بدل تاريخ الملوك والحكام، حيث لم يستغرق طويلاً في الحديث عنهم، كما أعطى مساحة كبيرة جداً من كتابه تاريخ البربر ومقاومتهم، والذي غطى تقريباً ثلاثة أرباع الجزء الأول²، فدافع بحماس عن استقلالهم، وكتب أنه يجب على الأجيال الحالية العودة إلى التاريخ ليتعلموا عن السابقين كيف يتفادون سطوة الحضارات الغازية، فتجده يرد على الاستعمار الفرنسي الذي يدعي مواصلة مهمة روما الحضارية بخاتمة الجزء المخصص لروما والبربر بقوله: "اندثار وديمومة هؤلاء"³، وهذا ما يدحض ما ذهب إليه محمد حربي، بأن من سلبيات مؤرخي الجمعية (الميلي وتوفيق المدني) أنهم أهملوا تاريخ البربر⁴.

ولم يختلف ميلي عن الطرح المتداول لدى الاتجاه الإصلاحية حول تشكل الأمة الجزائرية، التي يكتب تاريخها، "لما فتح العرب المغرب اختلطوا بالبربر، ولم يكن للعرب تفوق في الحقوق إلا ما كان من الولاية العامة فإنها كانت بأيدي العرب لخبرتهم بالشؤون الدولية، وقد ساس العرب البربر سياسة الإخاء، والحرية والمساواة حقاً فتركوا لهم أراضيهم، ولم يثقلوا كاهلهم بالضرائب...". وقد أثر ميلي بالظروف السائدة آنذاك في كتابه من خلال استخدامه مبادئ الثورة الفرنسية، وظهوره وكأنه يقوم بمقارنة بين حكم العرب العادل في نظره والحكم الفرنسي الظالم⁵.

وبالتالي استطاع ميلي تناول تاريخ الجزائر كله، مبدئياً في ذلك نضجاً وقدرة وهذا العمل ليس باليسير ولا بالسهل، خاصة إذا تعلق الأمر بأمة نشيطة حافلة ماضيها بالاضطراب والأعمال كالأمة الجزائرية، الأمر الذي جعل الجزائريين يستقبلون عمله بإعجاب، واعتبره البعض باعث الأمة الجزائرية⁶، وفي هذا الصدد كتبت جريدة

¹ عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 189.

² رايح لونيسي، المرجع السابق، ص 364.

³ محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 316315.

⁴ محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ENAGEDITONS، الجزائر، 2008، ص 124.

⁵ رايح لونيسي، المرجع السابق، ص 364363.

⁶ عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 205.

النجاح (عدد2 أكتوبر 1932م) "أن مؤرخي الأمة الجزائرية الجديدة نفضوا الغبار عن تاريخ أجدادنا، وبعثوا الحياة في بقايا أجدادنا لكي يجعلهم يخبروننا بأنفسهم عن ماضيهم العظيم المجيد"¹.

وقد نوهت الشهاب بالكتاب وصاحب الكتاب إثر صدور الجزء الأول منه، إذ جاء في إحدى مقالاتها "نعدّه أول مؤرخ جزائري، ونعد كتابه من بين المؤلفات التي كتبت في اللغة العربية بالأسلوب العلمي والفلسفي الذي يكتب به الغربيون... فالجزائريون كلهم مدينون لهذا الرجل بفضل لا يقدر بثمن"².

ولا يفوتنا الحديث هنا عن الرسالة التي بعثها ابن باديس للمليي تقديرا له عن هذا العمل جاء فيها "وقفت على الجزء الأول من كتابك فقلت لو سميت "حياة الجزائر" لكان ذلك خليقا فهو أول كتاب صور الجزائر في لغة الضاد صورة كاملة سوية"، أما شكيب أرسلان فقد أعجب هو الآخر كثيرا بالكتاب، وأورد ذلك في رسالة بعثها للمليي جاء فيها: "وأما تاريخ الجزائر، فو الله ما كنت أظن أن في الجزائر من يفري مثل هذا الفري وقد أعجبت به كثيرا"³، وهذا الاهتمام كله يؤكد المكانة التي كان يعطيها نخبة من مثقفي العربية للتاريخ في حركة النهضة الوطنية خلال تلك الفترة حسب تعبير محمد بن مبارك المليي .

2- المنهج والأهداف :

أ- المنهج :

ورغم الانتقادات الكثيرة التي وجهت لهذا الكتاب مثل عدم الإحالة إلى مختلف المصادر والمراجع في الجزء الثاني من الكتاب، بالإضافة لاستخدامه المبالغ في الأشعار⁴، واعتماده بشكل كبير على ابن خلدون في الفترة ما قبل التاريخ بدل اعتماده على ما هو متوفر من مراجع فرنسية التي كانت متوفرة بكثرة، وذلك لعدم قدرته على إتقان اللغة الفرنسية⁵، كما أنه كان يمر على بعض الأحداث الهامة دون إعطاء تفاصيلها، في حين يفصل في حوادث أخرى أقل أهمية من الأولى⁶، إلا أنه حاول استخدام المناهج الحديثة في الكتابة التاريخية⁷، واستعمال

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص402.403.

² مجهول، "كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، المصدر السابق، ص17.16.

³ مبارك بن محمد المليي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، المصدر السابق، ص119.

⁴ رابح لونيسي، المرجع السابق، ص364.

⁵ Saadeddine Bencheneb .op cit ,p483.

⁶ فارس كعوان، المرجع السابق، ص351.

⁷ رابح لونيسي، المرجع السابق، ص364.

المصادر العربية ونقدها، واستعمال المصادر الأجنبية عن طريق الترجمة واستخدام التقنيات كالخرائط والرسوم، والرد على نظريات المؤرخين الفرنسيين ومناقشة آرائهم دون التحيز لذاته، كما نبه إلى ضرورة الابتعاد عن كتب الخرافات، وتصديق كل ما جاء في الكتب القديمة، وركز على دور الشعب في التاريخ ولم يهتم كثيرا بالملوك والأعيان¹.

أما منهجه العام فقد حاول أحمد مريوش تلخيصه في أهمها :

- ✓ الاعتماد على قاعدة الكل فالجزء أو ما يعرف بالتاريخ العام، وحسب رأيه أن ذلك جلي في العنوان "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، وهو ما أخذت به العديد من المدارس التاريخية العالمية أمثال الإتحاد السوفيتي سابقا على يد "بترو فسكي" والولايات المتحدة على يد "شارل بيرد أوستن" وغيرها
- ✓ الإعتماد على الاستقراء، وهذا ما فرضه زخم الأحداث واختلاف طبيعتها وبعدها زمنيا، مما دفعه إلى اعتماد أسلوب التحري والتمحيص والإكثار من القراءات ومقارنة النصوص قبل الشروع في عملية التركيب والتدوين .
- ✓ التحكم في البناء الزمني أضحي جليا في كتابات الميلي، فنلاحظ تسلسل الأحداث ومحاولة الربط بينهما مع الاعتماد على طريقة التحليل والاستنتاج بأسلوب بسيط غير معقد .
- ✓ وأهم خاصية اعتماده في الكتابة التاريخية الابتعاد عن الأحكام المطلقة في تناوله لنتائج الأحداث بل حاول أن يوجه القارئ إلى كيفية الاستنتاج بنفسه، وبالتالي يمكنه من التوصل إلى الخالصات وهي الهدف من كتابته التاريخية².

ب- الأهداف :

"التاريخ مرآة الغابر ومراقبة الحاضر، فهو دليل الأمم، وديوان عزها ومبعث شعورها، وسبيل إتحادها وسلم رقيها، متى درسه أبناء الأمة وأحاط أخيرا بأدوار شبابها، عرفوا وجودهم فلم تتبع قوميتهم الحية النهضة المجاورة لهم وأدركوا ما لماضيهم من الجمد وما لإسلافهم من الشرق، فلم يقبلوا تنقيص المنقصرين، وعبث المدلين، وقدرح المغرضين، وشعروا بعزة السيادة، ولذة الحياة فأنفوا من سيطرة المستبدين ولم يخضعوا لذل المستعبدين"³.

هكذا عرّف الميلي التاريخ مؤكدا الدور الذي يؤديه الاعتناء به والمغزى العميق الذي يكتسبه ظهور كتاب باللغة العربية عن تاريخ الجزائر⁴، أهدها إلى الشعب الجزائري الذي هو رمز العظمة حسب تعبيره، وإلى الشباب

¹ فارس كعوان، المرجع السابق، ص352.

² أحمد مريوش، المرجع السابق، ص122-123.

³ مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، المصدر السابق، ص3332.

⁴ مبارك بن محمد الميلي، المصدر نفسه، ص32.

المفكر ورجاله العاملين المخلصين، وكأني به أراد توجيه رسالته ضمنية لها دلالة من خلال هذا الكتاب في إيقاظ الضمير وتنبيه الفكر "إلى الشباب المفكر"، وأخذ العبرة بالإقتداء بالأسلاف "ورجاله العاملين المخلصين"¹.

أراد خدمة الجزائر بوسيلة جديدة، وهي التوعية التاريخية بغرض البناء الوطني وتعميق بنية المجتمع المترامي الأطراف والأفكار، وصهره في بوتقة واحدة تسمى "الجزائر كل لا يتجزأ"، وقد وظف عنصر التاريخ كمفهوم ومحفز فعال لاستكمال بناء مقومات الشخصية الجزائرية، فكانت له مادة تاريخية كمشروع وطني تجسد في حركة التأليف².

وهدفه كان سياسيا وطنيا وليس عملا اختصاصيا، إذ كان هدفه تمجيد الماضي في أعين الجزائريين وتوجيههم إلى الافتخار بتاريخهم رغم الحكم الأجنبي، وقد رأى فيه كاتب فرنسي أن الميللي عامل الماضي كذكريات من الشهامة الوطنية التي قد تساعد على أن تجعل الجزائريين ينهضون من حالتهم التي يرثى لها³ وقد شاطره في الرأي "سعد الدين بن شنب" حيث قال: "أن مبارك الميللي قدم للجزائريين تاريخا هو الدليل على وجود الشعب والسجل الذي فيه قوتهم، ويمكن صحوة الوعي لديهم وهو الطريق لإتحادهم ووسيلتهم لتقدم"⁴.

فالميللي يرى أن تاريخ الجزائر يعني "الجنسية الوطنية"، إذ كتب قائلا: "عندما يدرس أبناء هذه الأمة تاريخهم سيعرفون واقعهم، سيعرفون أن القومية الموجودة (أي الفرنسية) سوف لا تبلغ قوميتهم، وبناء على هذا الواقع التاريخي هو أنه يجب فهم ماضيهم ونباله أجدادهم"⁵، وبالتالي فالهدف المتوخى من الكتاب واضح عنده إذ يرى أن العناية بالتاريخ تضمن إعادة ربط الشعب بمساره، وبعث اعتزازه بماضيه، دون تمجيد أعمى، ف"التفلسف الوطني" حسب تعبير محمد بن مبارك الميللي واضح في كل أبواب كتابه، بما فيها الباب الذي خصصه لجغرافية الجزائر الطبيعية⁶.

أكد من خلال كتابه عن وحدة التاريخ الجزائري ضد المسعى الاستعماري، الذي أراد أن يتجاهل التكامل بين عهود ما قبل الإسلام، بهدف إيقاظ الشعور القومي والاعتزاز بكل الماضي من أجل إعطاء مضمون لفكرة الوطن الذي تكوّن عبر التاريخ، وبما أن هذا الكتاب قد صدر في جزئه الأول صيف (1928م) قبل

¹ مبارك بن محمد الميللي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، المصدر السابق، ص5.

² أحمد مريوش، المرجع السابق، ص119.

³ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص402.

⁴ حسن رمعون، المرجع السابق، ص590.

⁵ خيثر عبد النور وآخرون، المرجع السابق، ص155.

⁶ مبارك بن محمد الميللي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، المصدر السابق، ص33 35.

عامين من الاحتفال الفرنسي بمرور قرن عن الاحتلال، فإن ذلك يعني أن العمل من أجل إيقاظ الروح الوطنية قد بدأ قبل هذه الاحتفالات، وهي تكشف عن إرهابات مشروع ثقافي وطني لإحباط المشروع الفرنسي¹.

وقد لخص أحمد مريوش الأهداف سابقة الذكر في خمسة نقاط أساسية هي:

- ✓ محاربة النسيان وتحديد الذاكرة الجزائرية .
- ✓ إبطال أسطورة الجزائر فرنسية وكشف افتراءات دعاة الإلحاق والإدماج من ذوي الاتجاه الفركوفيلي .
- ✓ خدمة الوحدة الجزائرية والقضية الوطنية من دون اقتصاد للأزمة والفعاليات بحكم عنوان مضمون الكتاب .
- ✓ تحسيس الجزائريين بدور و أهمية الكتابة التاريخية في التحصيل والمقاومة وفتح الأفق أمام الأجيال كي تتعلم، تفيد، وتستفيد .
- ✓ التصدي للمدرسة الفرنسية التي شككت في التاريخ الجزائري، وقامت بتزويره، لذلك أراد الميلي أن يرقى العقلية الجزائرية على أن تتخطى بالإثبات والإرشاد بقوله: "أن يكون للتاريخ هذا الأثر بترقيته عقول البشر على نقل الإثبات متعمدا وعن تدليس المغرضين مبتعدا خاليا من خرفات المتقدمين و حمايات المتعطين من المتأخرين"².

ثانيا- إسهامات توفيق المدني³ في الكتابة التاريخ :

ساهم توفيق المدني منذ نفيه للجزائر سنة (1925م)، بكتابات تاريخية قيمة أثرى بها التاريخ الجزائري، وقد جاءت هذه الكتابات في فترات عصبية من تاريخ الجزائر (الاستعمار) من هذه الأعمال، قرطاجنة في أربعة عصور الذي صدر (1927م)، كتاب الجزائر الذي صدر (1931م)، ومحمد عثمان باشا داي الجزائر في سنة (1937م). سنحاول دراستها لمعرفة مضمونها وأهدافها في إطار الحركة الوطنية .

¹ مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، المصدر السابق، ص3836.

² أحمد مريوش، المرجع السابق، ص123.122.

³ هو أحمد توفيق المدني، ولد بتونس في 01 نوفمبر (1898 م)، وذو أصل جزائري، زاول دراساته بالزيتونة، سياسي محنك شارك في إنشاء الحزب الدستوري التونسي عام (1920م)، نفي إلى الجزائر (1925م)، شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين (1930 م)، شارك في نشاطات عدة، ثقافية، وسياسية قبل الثورة، و بعد الثورة وحتى بعد الاستقلال، توفي (1983 م)، ينظر، أحمد توفيق، المدني، حياة كفاح، ج1، ج2، ج3، دار البصائر الجزائر، ينظر أيضا، عبد القادر خليف، "توفيق المدني و دوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر (1899-1983)"، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور، عبد الكريم بو صفصاف، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة 2006-2007 .

1- كتاب "قرطاجنة¹ في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي":

أ- ظروف ودوافع تأليفه:

ألف استجابة لإرادة الشيخ "عبد الحميد بن باديس" و"الإبراهيمي" و"الميلي"، حينما طلبوا منه الرد على حملة التشويه التي شنتها الكتاب الغربيون والفرنسيون على هوية المنطقة المغاربية²، لاسيما أن مؤرخي العرب قد تهاونوا بأمر ذلك التاريخ المجيد، فأهملوا حقبة تبلغ عشرين قرناً منه، الأمر الذي أدى بالمدني إلى سد هذه الثملة، وتسطير هذا التاريخ خاصة أن تلك القرون التي قد خلت قبل الفتح العربي جديدة بالدراسة إذ يقول: "تاريخ زاهر، يخرق العصور إلى ما وراء ثلاثين قرناً، ويجمع في صحفه المسطورة، جم الحوادث الهائلة والأعمال الجسمية" لأنها عصور "امتثلت عظمة وجلالا، وسطرت في سجل التاريخ صحفا ذهبية"، بما فيها من مدن زاهرة وجهاد عظيم للحياة المهنية أيام، كان البربر أبناء الأمازيغ الأباة، يقطنون سهول هذه الأرض وجبالها، ويقتبسون من كل قادم أنوار مدينته"³.

ب- مضمون الكتاب:

صدر الكتاب سنة (1927 م) وتم الإعلان عنه في الشهاب⁴، يغطي صفحات تقدر ب(171) صفحة، يحوي مقدمة وأربعة أقسام (كتب) جاءت على النحو التالي:

مقدمة وضع فيها دوافع بحثه ومنهجه ثم استعرض وصف بلاد المغرب من حيث الجغرافيا الطبيعية والبشرية، كما تكلم عن العنصر البربري من حيث النوع والأصل والعوائد⁵.

القسم الأول: (دولة قرطاجنة) تكلم عن قرطاجنة ومملكتها، عن حروبها وسياستها، و الحيلة العلمية والأدبية فيها، كما تكلم عن أسباب و خرابها وانتفاء مدينتها⁶.

القسم الثاني: (قرطاجنة الرومانية)، وفيه تحدث عن قرطاجنة في ظل الاحتلال الروماني، وعلاقة هذا الأخير بالبربر وما وقع بينهم من حروب، كما تكلم عن الديانة المسيحية، ونتائج الاحتلال الروماني⁷.

¹ ومن الملاحظ أن كلمة قرطاجنة: كانت تطلق على منطقة بالأندلس أما قرطاجنة فهي في تونس.

² أحمد توفيق المدني، "مبارك ميلي مؤرخ الجزائر"، البصائر، ع 26، 8 مارس 1948، ص 4.

³ أحمد توفيق المدني، قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، دار البصائر، الجزائر 2009، ص 18.17.

⁴ مجهول، "قرطاجنة في أربعة عصور"، الشهاب، ع 115، 29 سبتمبر 1927، ص 21.

⁵ أحمد توفيق المدني، قرطاجنة في أربعة عصور، المصدر السابق، ص 17-30.

⁶ أحمد توفيق المدني، المصدر نفسه، ص 31-86.

⁷ أحمد توفيق المدني، قرطاجنة في أربعة عصور، المصدر السابق، ص 89-126.

القسم الثالث: (قرطاجنة الو ندال) تكلم عن الو ندال بالمغرب، واستيلائهم على قرطاجنة عن التقسيم الإداري وسياستهم حروبهم مع الروم¹.

القسم الرابع: (قرطاجنة البيزنطية) تكلم عن الروم وتواجدهم بالمغرب كما تكلم عن سياستهم وإدارتهم، عن حروبهم وفنونهم وآدابهم، وفي الأخير تكلم عن البربر أواخر العهد الرومي وبداية التواجد العربي² أما الخاتمة فعنوانها بالعرب والبربر تكلم فيها عن اندماج البربر والعرب والأسباب المؤدية لذلك "أصلها السامي" بالإضافة إلى وحدة الدين ووحدة الأخلاق ووحدة المصلحة³.

ج- أهدافه :

قد حاول توفيق المدني قراءة الحاضر الاستعماري الفرنسي بعيون الماضي، فالقرطاجيون حسب وجهة نظره يشبهون العرب الفاتحين، الذين أخرجوا البربر من الظلمة إلى النور، أما الرومان فيشبهون الاستعمار الفرنسي من ناحية الملكية الزراعية حيث أصبح البربري "تحت سلطة روما" لا يملك شيئا من الأرض، كما هو حال الجزائري في عهد الاستعمار الفرنسي.

ركز كثيرا على المقاومات البربرية للرومان، والتي تشبه إلى حد كبير مقامات الجزائريين للاحتلال الفرنسي، وأن الاحتلال الروماني لم يكن مقبولا من البربر، وما كان احتلال روما إلا سلسلة متتابعة الحلقات من الحروب الفتاكة ومن الثورات المتوالية⁴، كما فسر المدني إقبال البربر على الحضارة الفينيقية ثم الحضارة العربية بالانتماء الشرقي للبربر، والتحامهم مع العرب لأسباب منها أن كلا العنصرين من أصل سامي، ولم يكن العصر العربي في شمال إفريقيا عهد ظلمات كما يصوره المؤرخون الفرنسيون بل كان عهد نور وحضارة.

هكذا كتب المدني تاريخ المغرب القديم بروح وطنية جياشة، يجتذله في مقاومة البربر للوجود الروماني ورفضهم للحضارة اللاتينية⁵، وبالتالي "سد -والحق يقال- بعض ثمة كبرى في الحضارة العربية"، لاسيما وأن تاريخ إفريقيا الشمالية القديم كتب أغلبه بلغات أجنبية⁶، كما أبرز زيف أطروحات "حربي" التي تقول أن الاتجاه الإصلاحية قد أهل تاريخ البربر قبل الإسلام، وهذا ما تم تناوله في صفحات سابقة، ضف لذلك تأثيره الكبير على بعض أصحاب النزعة البربرية أمثال "محمد إيدير آيت عمران" الذي علق عن الكتاب بقوله "قلب وجودي وجدد نهائيا

¹ أحمد توفيق المدني، قرطاجنة في أربعة عصور، المصدر السابق، ص 131-143.

² أحمد توفيق المدني، المصدر نفسه، ص 147-171.

³ أحمد توفيق المدني، المصدر نفسه، ص 171-173.

⁴ رابح لونييسي، المرجع السابق، ص 367366.

⁵ محمد غالم، "براد يقما المقامة في الخطاب التاريخي الإصلاحي"، المرجع السابق، ص 194-199.

⁶ محمد الفاضل بن عاشور، "قرطاجنة في أربعة عصور، الفتح الإسلامي الأول لإفريقيا"، الشهاب، ع 121، 10 نوفمبر 1927، ص 8.

توجهاتي ومشاعري إيديولوجياتي الوطنية.... وقد كان بالنسبة لي حقيقة جديدة.... حيث اكتشف أن تاريخ بلادي لا يعود إلى القرن السابع الميلادي فقط، لكنه أبعد وأعمق من ذلك"، ويضيف قائلاً: "وقد قرأت الكتاب عدة مرات لأنه بين حاضري وماضي الغامض".¹

2- كتاب "كتاب الجزائر":

أ- ظروف كتابته و مضمونه:

لم تمر على احتفالات الذكرى المئوية للاحتلال من طرف فرنسا إلا أشهر معدودة حتى صدر كتاب الجزائر²، فقد صدر الكتاب سنة (1931م)، قصد فيه إبراز المقومات الثقافية التاريخية للأمة الجزائرية، فالرسالة التي يتضمنها أن هذه الأمة التي تكونت عبر التاريخ لن تتخلى عن قيمتها وسيادتها وحريتها³، وبالتالي هو معارضة صريحة للطرح الفرنسي المزيف للتاريخ، وعنوانا لتحذر الوطنية الجزائرية⁴، ووجه إلى قراء العربية الذين كانوا يجهلون كل شيء عن هذا الوطن، وإلى الشباب المفرس الذي تمزق ذهنه بين البغداد نحو التاريخ الدخيل، ونفور من التاريخ الجزائري المشوه⁵.

يتوزع الكتاب على أربعة عشر قسما، قسمت إلى ثلاث مواضيع هي على التوالي: التاريخ، الجغرافية، والحالة الراهنة (1930م)، أما التاريخ فيضم من القسم الأول إلى القسم السادس⁶ وهي: فذلكة عن تاريخ الجزائر من أقدم العمود إلى الاحتلال الفرنسي، خلاصة تاريخ الجزائر من الاحتلال الفرنسي إلى اليوم، خلاصة عن الحالة الأدبية والعلمية في بلاد الجزائر من العصور القديمة إلى يومنا هذا سكان الجزائر العنصر العربي بالجزائر، العناصر الأخرى بالجزائر، وهي تؤرخ للجزائر من أقدم العصور إلى (1930م). ورافقها ذكر التاريخ العلمي والأدبي، وقدم حوصلة عن العنصر البربري من حيث أصوله وعوائده ونظمه وقبائله، ثم العنصر العربي بنفس الكيفية علاوة على التعرض للعناصر الأخرى المشكلة لسكان الجزائر من يهود وفرنسيين وأجانب⁷.

فيما يتعلق بأقسام الجغرافيا فضم السابع والثامن وهي الجغرافية الطبيعية العامة للقطر الجزائري، أمهات المدن والقرى بالقطر الجزائري، وهو عرض تفصيلي للطبيعة الجزائرية من حيث الموقع والحدود، المساحة، السواحل

¹ رابح لونيبي، المرجع السابق، ص 366

² جيلالي صاري، "أهمية كتاب الجزائر"، مجلة التاريخ، ع 18، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، النصف الأول من سنة 1985 ص 42.

³ محمد غالم، "براديقما المقاومة في الخطاب التاريخي الإصلاحي"، المرجع السابق، ص 195.

⁴ فارس كعوان، مرجع السابق، ص 362.

⁵ محمد غالم، "براديقها المقاومة في الخطاب التاريخي الإصلاحي"، المرجع السابق، ص 192.

⁶ فارس كعوان، المرجع السابق، ص 362.

⁷ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار البصائر، 2009، ص 21 217.

والمظاهر الطبيعية، واتبعه بعرض الناحية الإدارية وإحصاء عام لسكان بالإضافة لذكر أمهات المدن والقرى بالجزائر¹.

أم الحالة الراهنة فتضم الأقسام المتبقية من القسم التاسع إلى القسم الرابع عشر وهي الحكومات المركزية للإدارات العامة في الجزائر، المجالس المنتخبة بالقطر الجزائري، التعليم العام في الجزائر، النضال القضائي والعدلي في الجزائر حالة المسلمين العامة في القطر الجزائري، الحالة الاقتصادية العامة².

إذن جاء الكتاب شامل لمواضيع عديدة إلا أن الجانب التاريخي فيه ضئيل ومختصر جدا، وهو حسب ابن شنب " لا يعدوا ريع الكتاب³، ومع ذلك انتقد من خلاله الاستعمار الفرنسي الذي "ضرب على الجزائر المذلة والمسكنة وجعلها حكومة بغير بنيتها، وتوزيع ثرواتها على غير ذويها"، وأبقاها تحت نظام هو أشد أنواع الرأسمالية ويؤكد أن فرنسا عملت منذ احتلالها للجزائر سنة (1830م) على محاربة الثقافة العربية فقضت على مراكزها وهجرت علمائها وسخرت مؤسساتها لمحوها، ورأى في الأمة الجزائرية أنها اشتاقت للعلم كاشتياق الشجرة اليابسة للماء فقد بلغت فيها درجة الأمية نحو (90%) من مجموع أفرادها⁴.

كان توفيق المدني من خلال كتابه هذا من دعاة التجديد فتحدث عن المرأة، والصحافة والشباب، وحث على تكوين المدارس والتخرج في المهن وإتقان الفلاحة والتجارة، كما انتقد المدارس الثلاثة الرسمية لتقاعسها وبعض الطرق الصوفية لتخاذلها بالإضافة للانتقاد الإدارة الفرنسية في سياستها⁵.

وقد لقي هذا الكتاب استحسانا كبيرا عقب صدوره، إذ نشرت حوله مقالات وبحوث كثيرة و متباينة وقد أشاد به مفكرون ومؤرخون كبار⁶، من ذلك تقرير الشيخ " بن باديس " في الشهاب "...الذي يحمل فكرة وطنية لا يصدق فيها بقول إلا إذا خدم الوطن من الناحية التي خدمها الأستاذ أحمد توفيق المدني، صاحب كتاب الجزائر" كما قال قبل هذا: "كتاب الجزائر عنوان قوي بين دفتيه من المعلومات بلسانها العربي المبين، له أثر خاص

¹ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 215-311.

² أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر نفسه، ص 313-494.

³ فارس كعوان، المرجع السابق، ص 361.

⁴ محمد غالم، "براديقما المقاومة في الخطاب التاريخي الإصلاحي"، المرجع السابق، ص 202-203.

⁵ فارس كعوان، المرجع السابق، ص 364.

⁶ أحمد توفيق المدني، حياة كفاف، ج 2، المصدر السابق، ص 300.

مفعم بمعاني التجديد، ليتسن للباحثين معرفة المدى الذي بلغته الجزائر من الرقي والانحطاط في جميع أدوار حياتها
...¹.

أما شكيب أرسلان فقال عنه: "ظهر كتاب الجزائر بقلم الوطني الفاعل أحمد توفيق المدني، جمع هذا الكتاب كل ما تلزم معرفته من شؤون الجزائر بحيث لا يصح أن يخلو منه أحد ممن يريدون حق الإطلاع على أحوال المغرب الأوسط"²، بالإضافة إلى ما كتبه محمد كرد علي في مجلة "القبس" والدكتور حسين مؤنس في مجلة البحوث الإنسانية، والدكتورة عائشة عبد الرحمن في الأهرام .

كما أنه أصبح مرجعا للعلماء الغربيين والكتاب والباحثين من أمثال "أندري جوليان"، والكتاب الاجتماعي "جاك بيرك"، و"المؤرخ" شارل روبير آجرون، "هذا الأخير الذي علق عليه في كتابه "تاريخ الجزائر الحديث" قائلا: "... كتاب التاريخ الوطني الذي ألفه الشيخ المدني وهو كتاب الجزائر (1931م) الذي طبع بنفقة الأمة الجزائرية، كان كتابا يحمل فوق غلافه شعار جمعية العلماء المسلمين، الإسلام ديننا، الجزائر وطننا، العربية لغتنا، و خلقت في الجزائر كلمات تحمل معاني جديدة في اللغة العربية ككلمة وطن، كلمة الأمة الجزائرية، وكلمة الشعب ..."³.

أما محمد قنانش فقد رأى في "كتاب الجزائر" أنه منقذه من الحالة النفسية التي تركها إفراغ الساحة السياسية من المناضلين الوطنيين الذين اعتقلتهم السلطان الاستعمارية أوائل الحرب العالمية الثانية⁴.

2 كتاب الجزائر أهداف ودوافع :

كتاب تشم فيه رائحة الوطنية في كل فصوله وأبوابه رفع شعارات الهوية الوطنية بوضعه على غلاف الكتاب ثلاثية: "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، والجزائر وطننا"⁵، افتتحه بمقدمة رائعة لينتهي بخاتمة أروع، إذ افتتحه برسالة وجهها إلى الشباب الجزائري المسلم من أجل النهوض بوطنه، لكي يجيا حياة كريمة بين الأمم العربية جاء فيها "إليكم أيها الشبان المسلمون في أرض الجزائر الكريمة أتقدم بهذا الكتاب، فأنتم في هذه الأمة النبيلة روحها، وأنتم

¹ عبد الحميد بن باديس، "كتاب الجزائر، كذلك وبمثل ذلك يؤدي الواجب أيها الجزائري الناشيء"، الشهاب، ج3، ص8، مارس 1932، ص156-157، 160.

² فارس كعوان، المرجع السابق، ص364.

³ أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص300-302.

⁴ محمد قنانش، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصة للنشر، الجزائر، 2005، ص144.

⁵ فارس كعوان، المرجع السابق، ص361.

فيها مركز الحركة والشعور والإحساس وعليكم أيها الشبان البررة وعلى أعمالكم يعتمد هذا الوطن ، كي يبني صرح مجده عالياً ويتبوأ مقعدة بين الأمم العربية الناهضة ، ويعيش في هذا الوجود محترم الجانب عزيزاً ، سعيداً¹ .

أراد مد يد الإعانة إلى كل جزائري ليعرف وطنه حق المعرفة فيزداد حبهم له وغراماً فيه ، فهو "وطن ماجد، تاريخه نبيل ، ورجاله أبطال ، وأرضه صالحة وأمته حية شريفة ، ولن تكون معرفتك إياه من نتيجة إلا إقبالك خدمته الخدمة المثلى فتقبله عن عشرته ، وتسير به بحول الله نحو المستقبل السعيد² ، وبذلك حاول هز تلك النخوة فيهم ليصبوا بهم إلى استعمال الوسائل المعقولة لأجل الحياة في مستوى لائق ، لأن اكتشاف كل ما كان للوطن من عزة وسؤدد هو عمل مستمر والسمو بالوطن إلى مكانة يحملها العصر الحاضر ، والظرف الراهن أجمل عمل³ ، لذلك نصح الشباب أن يكون متّحداً متضافراً ، وأن يكون عاملاً نشيطاً ، وأن يكون وطنياً جسوراً ، وأن يكون غيوراً متحمّساً ، وأن يكون متفائلاً قوياً الإيمان بمستقبل الجزائر الباهر⁴ .

أراد أن ينزع عنه غشاوة الجهل المطبق الذي فرضه الاستعمار الخبيث بوضعه الأباطيل والخرافات موقع الحقائق حسب تعبيره ، فأطلق لقلمه العنان دون مواربة ودون حذر فإنه به يقيم صرخاً شامخاً للحق ، فيحطم أساطير فاجرة نسجتها حماقة الاستعمار ورعونته ، فكان نتاجه "صفحة ناصعة تزين هامة الجزائر بإكليل من فخار"⁵ .

إذ نجد في كتابه صدى لروح المليّة الجزائرية بعدما ظلت ظمأى مدى أجيال طويلة ، بما تضمن حوادث وبحوث تسر النفوس ، وتلك الحواس والمشاعر وتستوقف الأفكار وتكشف مما للمجتمع من علل وأمراض تبعث أرباب الغيرة على الإشفاق والقلق ، وتستفز المستنيرين من حملة الإصلاح إلى التماس وسائل العلاج الناجح ، ولو أحس بما كل واحد فيستوضح بها حياة بلاده منذ نشأتها ودخولها ضمن التاريخ البشري العالمي⁶ .

وما الخاتمة إلا تنمة وتأكيد للأهداف التي أبتغها المدني من وراء كتابه فهي تعبر بصدق عن الهدف الرئيسي للكتاب "هذه حياة الجزائر الإسلامية بين يديك ، وأنت سبيل الأبطال ، وفي عروقك يجري دم عظماء الرجال فارع جزائرک وسر بها والله يراعك في طريق النهضة الكبرى ، النهضة القومية العربية الإسلامية ، وإذا ما هتف الناس

¹ أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، المصدر السابق ، ص 17 .

² أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، المصدر نفسه ، ص 19 .

³ عبد الحميد بن باديس ، "كتاب الجزائر... " المصدر السابق ، ص 160 .

⁴ أحمد توفيق المدني ، المصدر السابق ، ص 19 .

⁵ أنيسة بركات ، "حياة في سبيل العلم والجهاد" ، مجلة التاريخ ، ع 18 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، النصف الأول من سنة 1985 ، ص 31 .

⁶ عبد الحميد بن باديس ، "كتاب الجزائر... " ، المصدر سابق ، ص 158 .

بجياة أوطانهم فالترفع الرأس شامخا والعزة والكرامة ملاء جوارحك ولتهتف على رؤوس الملاء بصوت يسمعه كل الناس "تحيا الجزائر"¹.

تلك هي الخلاصة والهدف الأسمى لهذه الدراسة القيمة في مثل تلك الوضعية والغاية هي القضاء على هذه الوضعية أي إعادة مجد الوطن والإحاطة بالنظام المبني على الاستغلال والقمع، وما كتاب "كتاب الجزائر" المحلل للوضعية التاريخية والحضرية للقطر الجزائري، إلا منطلق لتربية وطنيه ودينه من أجل هدف أبعد وأسمى لتحرر من الاستغلال والقمع ونظام الاستبداد الذي تجسد في "نظام الأنديجينا"².

3- كتاب "محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766. 1791م):"

أ- ظروف ودوافع التأليف:

في ظل جنائيات الاستعمار الأوروبي على البشرية محاولة منه لقلب حقائق التاريخ على الناس، فقد صور الأمم التي ابتليت به، وأصيبت بشره بصورة من الهمجية والوحشية، والتأخر والانحطاط لا أبشع منها، ذلك ليبرر استيلاء عليها وليمن عليها بما زرعه فيها من حضارة³، بما في ذلك الجزائر لاسيما عهد العثماني الذي صور على أنه "مغارة من مغارات السفاكين، وملجأ يركن إليه السفاكون من لصوص البر والبحر، و يحيل إليك مع ذلك أنّ هذا القطر كان موطن الحن والبلايا، ومترع المظالم وانتهاك الحرمات"⁴.

وفي ظل الظروف الصعبة القائمة على تكميم الأفواه⁵، صدر سنة (1937م)، كتاب عن حياة أطول الدايات حكما هو كتاب "محمد عثمان باشا" داي الجزائر (سيرته أعماله حروبه نظام دولته والحياة العامة في عهده وخلاصة وافية عن تاريخ القطر الجزائري، وترجمة علمائه في العصر التركي) لمؤلفه "أحمد توفيق المدني"⁶.

ب - المضمون :

يضم الكتاب (191) صفحة، يشتمل على تمهيد وأربعة فصول، أسبقهم بإهداء "إلى الرجل الذي أيقض أمة وأنشأ جيلا، وربط بين ماضي الوطن وحاضره، وهياً له مستقبله في ميدان العلم والشرف، فكان شخصية الكريم

¹ توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر سابق، ص497:498.

² جيلالي صاري، المرجع السابق، ص48.

³ عبد الحميد بن باديس، "كتاب محمد عثمان باشا"، الشهاب، ج1، ص13، سبتمبر 1937، ص319-320.

⁴ أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق، ص7.

⁵ فارس كعوان، المرجع السابق، ص365.

⁶ أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق، ص5.

نقطة الاتصال بين الجزائر الغابرة الماحدة ، والجزائر الحاضرة المجاهدة ، والجزائر المقبلة الخالدة ، إلى العالم العامل "عبد الرحمن بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ..."¹

التمهيد: دراسة التاريخ التركي² في الجزائر الذي أعتبر أنه وضع الشخصية الدولية للجزائر ودافع عنها ووحدها وأسس دولتها، ويتميز هذا التمهيد بالمقارنات التي قام بها المؤلف بين ما كان يحدث في كل من الجزائر وأوروبا في نفس الفترة ،في مجال القرصنة ومعاملة الأسرى والظلم والتقتيل ، كما ركز على المذابح التي ارتكبتها الاستعمار الفرنسي مقارنة بالأترك وأن مظالم هؤلاء التي لم ينفها هي أقل بكثير من المظالم التي كانت تحدث في مختلف الدول الأوروبية ومنها فرنسا في تلك الفترة³.

الفصل الأول :خلاصة عن الولاة والحوادث في العهد التركي⁴ وهي خلاصة عن أبرز الحكام وأهم الأحداث العالمية المقابلة المتزامنة مع الأحداث الواقعة في المدارس العليا الفرنسية ،وهدفه من كل ذلك هو إسماع القارئ بالمقارنة لأن الذين صوروا ، الحكم التركي في الجزائر بالظلم يتناسون أن "هذه التهم أن محصنها تمحيصا تاريخيا علميا وجدناها كلها جائزة ، وأن ما كان يحدث في الجزائر أقل بكثير مما كان يحدث في أوروبا"⁵.

في حين يحتوي الفصل الثاني سيرة محمد عثمان باشا"⁶ مستندا في ذلك على مذكرات نقيب أشرف الجزائر "محمد الشريف الزهّار" ، وكذلك كتاب " التحفة المرضية في الدولة البكداشية " وكذلك دفتر التشريعات أي السجل الرسمي للدولة آنذاك وعلى ما كتبه "فونتان دوبار داس" عن الداوي "عثمان باشا"⁷ ، وفيه تفصيل واف لحروبه وأعماله ونظام الدولة والحياة العامة في عصره⁸.

أما الفصل الثالث: فهو عبارة عن مقتطفات من دفتر التشريعات⁹ ، وهو تعريب ما يتعلق بهذا العصر "دفتر التشريعات الرسمي" ، الذي كان الولاة الأتراك يسجلون به أعمالهم ونظمهم وقوانينهم¹⁰ ، وأخيرا الفصل الرابع الذي يضم مذكرات "فونتان دوبار داس"¹¹ ، وهي مقتطفات من مذكرات المستشرق "دي بارادي" ، الذي

¹ أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق، ص5

² أحمد توفيق المدني ، محمد عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق ، ص7-20.

³ رابح لونيبي المرجع السابق ، ص363.

⁴ أحمد توفيق المدني ، محمد عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق ، ص27-75.

⁵ رابح لونيبي ، المرجع السابق ، ص363.

⁶ أحمد توفيق المدني ، محمد عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق ، ص77-147.

⁷ رابح لونيبي ، المرجع السابق ، ص370.

⁸ مجهول ، "كتاب عثمان باشا" ، البصائر ، ع 58، 12، مارس 1937، ص7.

⁹ أحمد توفيق المدني ، محمد عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق ، ص149-159.

¹⁰ مجهول ، "كتاب عثمان باشا" ، المصدر السابق ، ص7.

¹¹ أحمد توفيق المدني ، محمد عثمان باشا داي الجزائر ، المرجع السابق ، ص161-187.

عاش في الجزائر أيام الباشا "محمد عثمان" ودرس جميع نظمها وأحوالها العامة، وحياتها اليومية، دراسة وافية وبسط ذلك بصفة مدققة¹.

ج - الهدف منه :

إذن ولأن الكتاب جاء يبين ما كانت عليه الجزائر من القوة وال عمران قبل الاحتلال الفرنسي، وما أصابها من التخريب والتقتيل أيام الاحتلال، ناقلا عن كتب ووثائق فرنسية²، هدفه في ذلك التصدي للهجمات الاستعمارية الفكرية الموجهة إلى فترة من أهم فترات تاريخ هذه البلاد³، بإمارة اللثام عن حقيقة الوجود العثماني بالجزائر وتكذيب الخرافات التي اصطنعها الاستعمار من أجل تشويه ذلك الوجود⁴.

قد حقق الهدف منه، فاعتبر سلاحا حادا وحجة ناهضة لكل من أراد النضال عن شرف آباءه الأولين ورجال حكومة آل عثمان السابقين، إذ ظهرت الحقيقة التاريخية في صورتها الناصعة الجليلة⁵ الأمر الذي جعل ابن باديس ينصح كل مسلم جزائري بقراءته ليخرج منه "تعب من يجب أن تعب وتبغض من يجب أن تبغض، والبغض والحب سلاحا لازما في الحياة، ولا بقاء لأمة بدونهما إذا استعملا في محلتهما"⁶، وبالتالي يغرس فيه الرغبة والاستعداد للثورة حسب تعبير رابح لوني سي⁷.

¹ أحمد توفيق المدني، "محمد عثمان باشا"، الشهاب، ج1، مج13، 14 مارس 1937، ص60.

² عبد الحميد بن باديس، "كتاب عثمان باشا"، الشهاب، ج7، مج13، سبتمبر 1937، ص320.

³ فكري طونا، "الوثائق العثمانية وأهميتها عند الشيخ أحمد توفيق المدني"، مجلة التاريخ، ع18، النصف الأول من سنة 1985، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، ص68.

⁴ أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص382.

⁵ مجهول، "كتاب عثمان باشا"، ع77، 30 جويلية 1937، ص3.

⁶ عبد الحميد بن باديس، "كتاب عثمان باشا"، المصدر السابق، ص320-321.

⁷ رابح لوني سي، المرجع السابق، ص370.

فصل الثامن

رغم أن السبق في الكتابات التاريخية في الجزائر كان لرواد المدرسة الإصلاحية، إلا أنّ هذا لا يعني أنه لا يوجد كتابات تاريخية أخرى تزامنت معها أو جاءت بعدها في إطار الحفاظ على الهوية الوطنية، أو محاربة الإيديولوجية الاستعمارية، أو المطالبة بالإصلاحات السياسية، فتعددت وتنوعت رغم أن بعض من ألفت في هذا المجال كان من الموظفين الرسميين المعيّنين من طرف الإدارة الفرنسية كالجلايلي، أو المتفرنسين الذين درسوا في المدارس و المعاهد الفرنسية كالشريف الساحلي و فرحات عباس أو غيرهم كأبي يعلى الزواوي الذي اهتم بالتاريخ الوطني و منتوج، أولئك المؤرخين هو ما سنتناوله بالدراسة في ما يلي:

أولاً- كتاب "تاريخ الجزائر العام" لعبد الرحمان الجلايلي¹:

1- ظروف ودوافع التأليف:

أدرك الجلايلي بأن تاريخ الجزائر لا يزال مجهولاً، إذ أنه لم يدرس دراسة موضوعية ولا شاملة لكل العصور من طرف الميلي والمدني، فالأول من مجموع 359 صفحة في الجزء الأول خصص 313 صفحة للحقبة ما قبل الإسلامية، أي ما يعادل 8/7 من الجزء، أما المدني فبحث في الحقب العربية في كتاب "قرطاجنه في أربعه عصور" ضمن 13 صفحة فقط، أما كتاب الجزائر فكان جد مختصر لاهتمامه بالفترة المعاصرة فقط.²

ولأنه باشر التعليم في الجمعيات والمدارس فقد وجد أن تدريس مادة التاريخ ممنوع ومحرم فيها إلا ما كان يدرّس خفية من طرف المعلمين، كما رأى بأن هذه المادة مهملة في كتب التاريخ، مما جعله يطرح الأسئلة الآتية ذكرها: أين كتب الجزائر؟ كيف حالها؟ وكيف حال علماء الجزائر وأعيانها ومنتقفيها؟ الأمر الذي دفعه لإيجاد كتاب لتلاميذ الابتدائية يقدم في جزء واحد، إلا أن المشروع تحول إلى مشروع ذو مستوى عال.³

¹ هو عبد الرحمان بن محمد الجلايلي، ولد سنة 1908م بالجزائر من عائلة متوسطة الحال و متمسكة جدا بالإسلام، حفظ القرآن وهو صغير، امتحن التجارة الداخلية والخارجية ثم تفرغ لطلب العلم لاسيما علوم الدين، وقد أخذ على مشايخ بالعاصمة منهم: الزبيبي، الحفناوي، ابن شنب، تولى مهنة التدريس في مدرسه الشبيبة الإسلامية وذلك خلال الثلاثينات من القرن العشرين، كان تكوينه عصاميا، تحصل على إجازات عدة تقلد عدة مناصب بعد الاستقلال، للمزيد ينظر، بلقاسم ميسوم، "الشيخ عبد الرحمان الجلايلي فقيه المؤرخين الجزائريين"، مجله عصور الجديدة، ع 12-

2008، 13-2009، ص 78-80.

² بلقاسم ميسوم، المرجع نفسه، ص 82.

³ نفسه.

شرح في تأليف الكتاب عند نشوب الحرب العالمية الثانية 1939 مستغلا ظروف الحرب وانزواء الناس إذاك واشتغالهم بشؤون الحرب، التي كان يعتقد أن من شأنها أن تحدث تغييرا في الحياة الاجتماعية وبالتالي رغب في تعريف الناس تاريخ الجزائر في الحاضر والغابر تعريفا كافيا شافيا.¹

لاسيما أن تلك الفترة تميزت ببروز بعض النزعات البربرية المملوكة للانتباه والتي استغلها البعض لتأكيد أن العرب ما هم إلا استعمار مثلهم في ذلك مثل أي استعمار آخر.²

2- مضمون الكتاب :

كتاب انفق فيه الجليلي وقتا كبيرا وجهدا معتبرا في إخراجها، تشهد عليه مادته الخصبية ومعارفه الواسعة، فهو كتاب هام لا غنى لأي احد يريد أن يلم بتاريخ الجزائر خلال أطوار التاريخ المتتابعة التي عالجها³، ظهر في جزأين سنة 1593، تناول فيه تاريخ الجزائر من أقدم العصور إلى العهد العثماني.⁴

تناول الجزء الأول المحاور الأتية: أهمية التاريخ في نظر العلماء والحكماء والفلاسفة، جغرافيه القطر الجزائري، الجزائر التاريخية ما قبل التاريخ، أو العصور الأولى البربر الدولة الفينيقية القرطاجية الدولة الرومانية، الدولة الفندالية الدولة البيزنطية، الجزائر العربية المسلمة، فتح إفريقيه، مواصله الفتح، الخوارج بافريقية، الدولة الرستمية ونشأتها الدولة الإدريسية، الدولة الأغلبية، الدولة العبيدية، الدولة الزيرية، الدولة الحمادية.⁵

أما الجزء الثاني فهو تتمه للجزء الأول، تناولت محاورها الموضوعات الأتيه ذكرها: دولة المرابطين، الدولة الموحدية الدولة الحفصية، الدولة المرينية، دولة بني عبد الواد، عود النفوذ بني مرين، الحملة الاسباني والأترك.⁶

¹ مجهول " تاريخ الجزائر العام " جريدة المنار، ع 6، 7 جويلية 1953، ص 02.

² رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 372.

³ فارس كعوان، المرجع السابق، ص 376.

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، المرجع السابق، ص 320-321.

⁵ عبد الرحمان بن محمد الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ج 1، المصدر السابق ص 31-395.

⁶ عبد الرحمان بن محمد الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ج 2، تحقيق و معالجة النص، ياسين أصنام، شركة دار الأمة، 2010، ص 07-370.

وهو بمثابة عرض مفصل وطويل لسائر الأحداث الهامة التي كان لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالجزائر منذ العصور البعيدة الممعة في القدم إلى أيام الأتراك ومن يقرأه يخرج بإلمامة شاملة عن الجزائر و ما يتصل بها من بعيد أو قريب¹

، فقد شمل تاريخه ذكر الأسباب في ظهور الدول واختفائها ، ودوام النظم وانقراضها بالإضافة لتعرض للوضع الاقتصادي والحضاري.²

ركز الجيلالي في بداية كتابه على تعريف التاريخ وعلاقته بالقومية ، خصص جزءا ضئيلا منه لتاريخ الجزائر قبل الفتح الإسلامي وذلك قبل أن يدخل في موضوعه³، يرى فيها مرتاض أنها ضرورية لفهم السياق العام لموضوعه⁴، في حين خصص للعصور الإسلامية ما يزيد عن نصف الكتاب ، وهو أمر طبيعي بحكم طول الفترة من جهة و احتوائها على جوانب حضارية أراد الجيلالي إبرازها من جهة ثانية.⁵

2- المنهج الأهداف:

أ- المنهج:

اتبع الجيلالي منهجا علميا واضحا وعرضا تاريخيا أوضح من منهج سابقه ، لا سيما الميلبي ، وذلك راجع لتقدم هذا الأخير تاريخيا عن الأول ، وعدم وجود ركائز يرتكز عليها في ذلك الحين ، فحاول الجيلالي أن يكون موضوعيا في عرض الكثير من الأحداث التاريخية ، وان كانت قضية الموضوعية المطلقة بالنسبة للمؤرخ قضيه نسبيه بحكم ارتباطه بأمته ، وانفعاله مع قضاياها.⁶

نجد كتابه خاليا من الانفعالات العاطفية ، كما استشهد بالنصوص الكثيرة المختلفة التي تدعم بحثه ، وان لم تكن تاريخيه بحثه ، بالإضافة إلى إثبات جداول تاريخيه تقيد الحوادث التاريخية الهامة التي وقعت على عهد الدولة التي أرخ لها في كل فصل من فصول كتابه الرئيسية ، كما عمد إلى إثبات فهارس تاريخيه تتصل بالدول الأخرى.

¹ عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص224.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص425.

³ خيثر عبد النور وآخرون، المرجع السابق، ص158.

⁴ عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص222.

⁵ رابح لونيسي، المرجع السابق، ص372.

⁶ فارس كعوان، المرجع السابق، ص374.

¹، بالإضافة إلى التبويب المحكم، وترتيب الأدوار التاريخية، وذكر جداول الدول وتراجم بعض المشاهير²، كذلك استخدامه للمخطوطات الأمر الذي يدل على مدى الصرامة والدقة الممنهجة للجيلالي .

هذا الأمر الذي دفع البعض للقول "..." إن تكوين الجيلالي صلب وذو منهج موثق³، وقد استخدم مصادر متنوعة ومختلفة باختلاف العصور، ففيما يخص فتره ما قبل الإسلام اعتمد أكثر على الكتب الأجنبية بما فيها اللاتينية واليونانية المترجمة والفرنسية، في حين اعتمد على المصادر العربية لفترة ما بعد الفتح الإسلامي، أما في دور ما بعد الفتح فكان الاعتماد على المصادر العربية والغير العربية.⁴

ومع ذلك لا يخلو عمل من عيب بما فيها كتاب الجيلالي، فرغم المحاسن التي اتصف به منهجه إلا أنه يحوي نقائص من بينها: أنه لم يعنى بالخرائط الجغرافية التي تمثل العنصر المكاني للحوادث إلا قليلا جدا، كما أهمل ذكر بعض المصادر التي استقى منها معلوماته⁵، وأخيرا اعتماده أكثر على المصادر العربية التي بلغت حوالب ستين مصدرا بمقابل عشر مصادر باللغة الفرنسية، وهذا لعدم تمكنه من الفرنسية، وهو بذلك يلتقي مع الميلي في هذه النقطة.⁶

ب - الأهداف:

رغم كون الجيلالي من الموظفين الرسميين الذي عينتهم السلطات الفرنسية في السلك الديني، إلا أنه لم يتعد كثيرا عن أهداف كل من سابقه المدني و الميلي في كتابة التاريخ و المتمثلة في إحياء الأمة الجزائرية وإبراز وجودها، وغرس الروح الوطنية في الإنسان الجزائري.⁷

¹ عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 224-232.

² حيثر عبد النور وآخرون، المرجع السابق، ص

³ رابح لوني، المرجع السابق، ص 373.

⁴ مجهول " تاريخ الجزائر العام"، المصدر السابق، ص 02، ينظر كذلك بشير كاشة الفرحي، المرجع السابق، ص 194.

⁵ عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 232-233.

⁶ فارس كعوان، المرجع السابق، ص 375.

⁷ رابح لوي، المرجع السابق، ص 371.

فقد أهداه إلى عقبة ابن نافع ووجهه إلى الشباب لربط الحاضر بالماضي، فعقبة رمز الفتح الإسلامي و الشباب رمز اليقظة الوطنية، وكان هدف المؤلف أن يقتدي الجيل الجديد بأجدادهم، ولا ينغمس في الحضارة الأجنبية و ينسوا ماضيهم.¹

فحملهم تمجيد تاريخهم اللامع العظيم و الثقة بالمستقبل الزاهر النير، مع نفخ روح القومية فيهم وإعدادهم لوصول حاضرهم بماضيهم، حتى تتكامل فيهم أركان الحياة الأربعة: المحافظة على شخصيتهم، ومزتهم، وتقديس أسلافهم الأجداد، و التمسك بدينهم، و العمل على الإشادة بوطنهم، وبذلك خلص تاريخ الجزائر من أن يبقى مكتوبا عرضا ضمن تاريخ الأمم و الشعوب و الأقطار المستعمرة أو أن يكون كفصل ملحق بكتب مبعثرة مشوهة العرض

ثانيا- كتابة التاريخ عند الشريف الساحلي وفرحات عباس:²

1- كتابة التاريخ عند الشريف الساحلي

مثل الشريف الساحلي دعاة استرجاع الاستقلال في كتابته للتاريخ، هذا التيار الذي لم تظهر كتاباته التاريخية إلا بعد الحرب العالمية الثانية، ويعود ذلك إلى ضعف التكوين من ناحية المثقفين القادرين على تحمل هذه المسؤولية من جهة، ومن جهة أخرى لإدراكهم أن الاتجاه الإصلاحية قد غطى جانبا مهما في هذا الاتجاه، مادام إن الكتابات التاريخية لهؤلاء تصب في نفس اتجاههم بحكم الاشتراك معهم في الإيمان بوجود أمة جزائرية إسلامية يحق لها إقامة دولة الأمة.³

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص 423.

² هو محمد الشريف الساحلي، ولد في مدينة بجاية سنة 1906، درس في مدينة الجزائر ثم التحق بمدرسة المعلمين ببوزريعة (المدرسة العليا للمعلمين)، التحق بجامعة السوربون بباريس وسجل في قسم الفلسفة، بعد إكمال دراسته درس بثانوية باريس إلا أنه طرد سنة 1939 لتعامله مع جريدة الأمة (la nation) التابعة لحزب الشعب الجزائري، عاد لتدريس من سنة 1950م إلى سنة 1957م نتيجة استفادته من حكم قضائي، زاول نشاطا سياسيا إلى جانب مهنة التدريس، بانخراطه في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1948، ثم إلى جبهة التحرير الوطني بعد اندلاع الثورة، تقلد خلالها مهام مختلفة، قام بتمثيل جبهة التحرير و الحكومة المؤقتة في الدول الاسكندنافية إلى غاية 1962م، وبعد الاستقلال أصبح سفيرا للجزائر في البلدان الاشتراكية الآسيوية منذ 1965م، أحيل للتقاعد سنة 1978م، وتوفي في جويلية 1989م بالجزائر، ينظر، أحمد شرف الدين، "محمد الشريف الساحلي فيلسوف و مؤرخ"، المدرسة التاريخية الجزائرية الجزائر، 1998، ص 127-128.

³ راجع لونيبي، المرجع السابق، ص 374.

وبحكم انتماء الشريف الساحلي لهذا التيار (دعاة استرجاع الاستقلال) فقد عبر في مختلف كتاباته عن إيديولوجيتهم منذ أن كان يتعاون مع جريدتهم (الأمة)، موليا اهتماما كبيرا بالتاريخ الوطني، لذا اعتبر من ابرز كتابهم.¹

ومن ابرز مؤلفاته: "رسالة يوغرطة" التي صدرت سنة 1947 م²، "الجزائر تندد" الذي صدر سنة 1949م "المؤامرة في وجه الشعوب الإفريقية" الذي صدر سنة 1950م، "عبد القادر فارس العقيدة و الإيمان" الذي صدر سنة 1953م، وكل هذه الكتب كتبها مؤلفها باللغة الفرنسية بحكم تكوينه الفرنسي.³

أ- كتاب "يوغرطة" و كتاب "عبد القادر فارس العقيدة":

حاول الشريف الساحلي من خلال كتاب "رسالة يوغرطة" إبراز مدى التواصل بين كفاح هذا الشعب بالأمس ضد الرومان و جهاده اليوم ضد الاستعمار الفرنسي، و يستشف القارئ للكتاب مدى أهمية وحدة الأمة في نضالها ضد المستعمر،⁴ وهو من المؤلفات التي وظفت الماضي من أجل الحاضر و استخدمت الرموز التاريخية لدفع الحركة الوطنية.⁵

من أجل توحيد الجهود و المواقف اتجاه الاستعمار بهدف تحرير البلاد، ونشير هنا إلى أن الساحلي لا يفصل بين الوطنية الجزائرية اليوم وتلك الوطنية التي كانت موجودة في عهد يوغرطة ضمن ما يسميه "الوطنية المغربية"

أما كتاب "عبد القادر فارس العقيدة" الذي نشر سنة 1953م، فقد ابرز فيه الأخلاق العلية للأمير⁶ من خلال التطرق لمختلف جوانب حياته، إذ تطرق إلى تكوينه و أخلاقه واصفا إياه بصفات راقية (الطاهر،

¹ راجع لونيبي، المرجع نفسه، ص 375.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص 317.

³ أحمد شرف الدين، المرجع السابق، ص 127-128.

⁴ راجع لونيبي، المرجع السابق، ص 379.

⁵ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص 117.

⁶ راجع لونيبي، المرجع السابق، ص 379.

المغوار، الصارم، المتسامح، الحليم،...¹، وكأنه أراد أن يبين من خلاله عمق التقدم المعنوي و الأخلاقي و الروحي للجزائريين، مما يدحض الدعاية الاستعمارية التي تصفهم بالتخلف و الممجية و البربرية.²

ب - كتاب "الجزائر تندد":

ظهر سنة 1949م، جاء كنداء من أجل المحافظة على ما بقي من إرث بعد سياسة السلب و النهب الاستعمارية و اعتبر ذلك واجبا تعده بالدعوة إلى الاستفادة من الأراضي المفقودة عن طريق حركة واسعة من "الاستيطان الوطني".³، أي بالعمل المعاكس و المتمثل في ضرورة قيام الجزائريين بإعادة امتلاك تلك الأراضي بشكل أو بآخر لأن الواجب الوطني يفرض علينا " ليس فقط الحفاظ على الأراضي المتبقية لدينا بل العمل من أجل استعادة الأراضي الضائعة منا"، ورغم تجرّمه مما فعله اليهود في فلسطين، إلا أنه في نفس الوقت رأي إمكانية الاستفادة من تجرّمهم في شراء الأراضي.⁴

ج - كتاب "المؤامرة ضد الشعوب الإفريقية":

ظهر سنة 1950م تناول فيه قضية التوسع الأوربي الجديد في إفريقيا و هو المشروع الذي تلخص في دفع الأوروبيين إلى الهجرة نحو إفريقيا، واستيطانه بتعميم نظام " التمييز العنصري" بجنوب إفريقيا ، على أن يعطى شمال القارة للأوروبيين في حين يبعد الأفارقة إلى جنوب القارة ، كما ركز على قضية امتلاك الأرض في صيرورة الاستعمار وتطوره.⁵

ومن خلال هذا الكتاب رأي أن السياسات الاستعمارية تسير في خط متصل قائم على الإبادة و العنصرية منذ 1830 إلى الحرب العالمية الثانية، في ممارسات الممجية كالسلب و النهب و العنصرية و القهر، و ما الجزائر إلا مثال على ذلك بقوله " إن حصاد الكولون له الحق في 800 كغ من الحبوب في السنة، في حين كان يفرض على الأهالي الاكتفاء بحصة نظرية قدرها 7.5 كغ شهريا.

¹ الكتاب جاء في (127) صفحة، ينظر، محمد الشريف الساحلي، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، تر: محمد بختيار منشورات 2008ANE

² رابح لونيبي، المرجع السابق، ص 379.

³ أحمد شرف الدين، المرجع السابق، ص 129.

⁴ رابح لونيبي، المرجع السابق، ص 376

⁵ أحمد شرف الدين، المرجع السابق، ص 129.

وقد اتبع تلك الصورة المعبرة عن القهر بتفسير يقوم على فكرة إن التجويع هو السلاح منذ المقاومة الشعبية و الحركة الوطنية، شبيه لخلق جوا من الفساد و الخوف و السوق السوداء رسمية و دائمة، إلا أن الاثنان ناتجتان عن نفس المبدأ وهو التقييد و الإكراه و هما ينشدان نفس الغاية.¹

د- الأهداف المتواخات من كتابات الشيخ الساحلي:

- إثبات وجود الكيان و الدولة الجزائرية قبل عام 1830 على عكس ما يدعيه المستعمر من أن الجزائر خالية من السكان.
 - فضح التشويه الاستعماري للتاريخ ويؤكد ذلك بقوله " أن الاستعمار مافتئ يستهدف تشويه التاريخ وماضيها "
 - دحض فكرة المهمة التمدينية للاستعمار الفرنسي في الجزائر
 - كشف المحاولات والمخططات الاستعمارية الساعية للقضاء على الأمة الجزائرية وبخاصة ضرب "مقوماتها المادية و المعنوية" من خلال فضح مختلف القوانين الاستعمارية منذ القرن التاسع عشر.
 - فضح النهب الاستعماري لأراضي الجزائريين ومختلف القوانين الصادرة بهدف تحقيق ذلك.²
- ولأن الساحلي كان يؤمن بأنه في ضل البلاد الخاضعة للاستعمار لا مجال للتظلم و الشكوى طلبا للعدل، الذي يرى فيه أنه لا معنى له، مهما تبذلت الأنظمة الاستعمارية التي يتحدد كل شيء فيها بميزان القوة ودون غيرها.³
- راح ينظر في العمل المسلح للعمل المسلح، و يظهر ذلك من خلال تركيزه على مقاومه كل من لالة فاطمة نسومرو المقراني، والتنويه الدائم "بالروح الفدائية و الاستشهادية للمسلمين التي لم تمت، وهي التي لازالت تحرك الشباب الجزائري، و تقدم دعما معنويا للمجاهدين من أجل القضية الوطنية"⁴

¹ أحمد شرف الدين، المرجع نفسه، ص 129-130.

² راجع لونيبي، المرجع السابق، ص 375-376.

³ أحمد شرف الدين، المرجع السابق، ص 130.

⁴ راجع لونيبي، المرجع السابق، ص 376.

إذا هذا باختصار بعض مساهمات الساحلي في التاريخ الوطني من أجل دفع الحركة الوطنية نحو الاستقلال، وقد ظل على نفس النهج بعد الاستقلال يسير بخطى ثابتة بكتابات شعاعه في ذلك " تخلص التاريخ من الاستعمار".¹

2- كتابة التاريخ عند فرحات عباس²:

لم يعط الليبراليون خاصة في المرحلة الأولى أي أهمية لكتابة التاريخ الجزائري، مادام أن الكثير منهم يعتبرون أنفسهم جزءاً من الأمة الفرنسية التي يجب أن تعترف بكل أبنائها، فتعطي لهم نفس الحقوق و الواجبات، سواء كانوا أريين أو مسلمين، أو يهود.³

وما كتاب فرحات عباس المرسوم " الشباب الجزائري" الذي نشر عام 1931 غداة الاحتفال بالذكرى المئوية لغزو الجزائر، إلا وسيلة أحدثها ظروف تلك الفترة التي كانت مطالب الأهالي فيها تنحصر أساساً في المساواة في الحقوق مع الأوروبيين، عبر فيه عن إدانته لتصرفات الاستعمار، ومخاوفه مما سيحدث في الجزائر، إذا

¹ ألف هذا الكتاب بعد الاستقلال أعيد طبعه بمناسبة الذكرى الأربعين، ينظر، محمد الشريف الساحلي، تخلص التاريخ من الاستعمار، تر: محمد الشريف بن دالي حسين، محمد هناد، منشورات وزارة المجاهدين، 2002.

² هو فرحات عباس ينحدر من أسرة فلاحيه صغيرة تابعة لبلدية الطاهير شرق مدينة جيجل ولد 1899م، من عائلة تضم 12 من الإخوة منهم خمسة ذكور، تعلم القرآن الكريم و هو صغير، أرسل إلى المدرسة الابتدائية الفرنسية الأهلية بالطاهير وبعد عامين تم نقله إلى المدرسة الابتدائية بجيجل أين واجه احتقار زملائه الأوربيين ثم انتقل لدراسة في متوسطة بسكيكدة " فليب فيل" وهو في السادسة عشر من عمره وفي الثامنة عشر انتقل لدراسة في قسنطينة التي سيكون لها بالغ الأثر على شخصيته، حصل على شهادة البكالوريا سنة 1921، وفي 1929 التحق بجامعة الجزائر فرع صيدلة بعد تأدية الخدمة العسكرية اهتم بالسياسة قبل ممارستها، تأثر بالأمير خالد صاحب الطرح القائم على الدمج الجزائري الفرنسي مع احتفاظ المسلمين بأحوالهم الشخصية، انضم للثورة في 1956، تقلد عدة مناصب سياسية قبل وبعد الاستقلال، توفي سنة 1985 عن عمر يناهز التسعين، ينظر، بوعبد الله الحفيظ، "فرحات عباس بين الإدماج و الوطنية"، مذكرة مقدمة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور، يوسف مناصرية، قسم التاريخ كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2005.2006.

³ رابح لونيبي، المرجع السابق، ص 385.

تمادت السلطة في غيرها ولم تبدل سياستها نحو الأهالي ، فجاء كتابه شبيها بكتاب " المرأة"¹.

لحمدان خوجة الذي نشر سنة 1833.²

وكتاب "الشباب الجزائري" عبارة عن مقالات جمعت، سبق نشرتها في جريدة "التقدم" لسان حال أعضاء النخبة الاندماجية في عشرينيات القرن الماضي كتب بعضها حين كان يؤدي الخدمة العسكرية ، وبعضها الأخر كتبه أثناء دراسته في الكلية المختلطة للطب و الصيدلة بالجزائر.³

وظف فيه التاريخ ليس كسابقه من أجل إيقاظ الشعور الوطني ، بل كرسالة وجهها لفرنسا مفادها إذا أردت أن تنجح في الجزائر ، من خلال عمل دائم يكون له المعنى، يجب أن تحذوا العرب المسلمين فيها، لأن نجاحهم أي العرب المسلمين،⁴ ليس هو ثمرة المصادقة ولا القوة، إن الفضل فيه يرجع إلى إيديولوجية المساواة في الإسلام، و إلى سمو أخلاقه ، و إلى أحكامه الذين أنجزوا عملهم بنزاهة"⁵

دعم فرحات عباس رأيه بمقارنات من الوجود العربي الإسلامي و الوجود الروماني الذي تتخذه فرنسا نموذجا لها في الجزائر ، فأبرز في دراسته للتاريخ عدل المسلمين الأوائل، وعدم نهبهم للأهالي، وتشجيعهم على التعليم دون التمييز بين العرب و البربر⁶، كما أبرز أن العرب لم يمنعو المسلمين البربر من تطبيق قوانينهم المتمثلة في عاداتهم وتقاليدهم " إن القبائل كان لهم قانون الأحوال الشخصية يتعارض فعلا مع القوانين القرآنية وكانوا أكبر متمسكين به ، ولكن الإسلام لم يقف عند هذا التفصيل ورفعهم بتوجيه من روح التسامح هذه إلى مشواره في مساواة كاملة ، و البربر يتذكرون ذلك من حيث أنهم كانوا أكبر ناشري العقيدة"⁷

¹ هو كتاب كما قال "حمدان خوجة" يعرف بالوضع الجزائري قبل الغزو وبعده، من أجل لفت الانتباه رجال الدولة (حكومة فرنسا) إلى هذا الجزء من العالم ، وتنويرهم حول نقاط يحولونها بهدف كسب عطفهم على الجزائريين بعد إدراك أوضاعهم ، التي أقل ما يقال عنها مأسوية.

ينظر، حميدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم تعريب و تحقيق، محمد العربي الزيري، منشورات ANEP، 2005.

² فرحات عباس، الشباب الجزائري تر: أحمد منور، وزارة الثقافة، 2007، ص 8-9.

³ فرحات عباس، المصدر نفسه، ص 15.

⁴ بو عبد الله عبد الحفيظ، المرجع السابق، ص 40.

⁵ فرحات عباس، المصدر السابق، ص 78.

⁶ بو عبد الله عبد الحفيظ، المرجع السابق، ص 40.

⁷ فرحات عباس، المصدر السابق، ص 77.

في نفس الوقت أشار إلى فشل النموذج الروماني الذي يصر عليه دعاة إفريقيا اللاتينية.¹، نموذج قائم على الطبقة الاجتماعية، و احتقار كل ما ليس جزء منه " فالإدماج لم يكن معهودا لديه" الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى حقيقتان هما الإفلاس الوجود الروماني و النجاح الكامل للوجود العربي الإسلامي " لو رجعنا إلى الوراء في القديم و العصور الوسطى، أي عهد الاستعمار الروماني وعهد انتشار الإسلام، فان هناك حقيقتان هما : إفلاس الأول و النجاح الكامل للثاني، هنا نجد طريقتين ونتيجتين"²

إذا فرحات عباس وظف التاريخ الإسلامي ليس بهدف الدفاع عنه في وجه النظريات العنصرية بل وظفه حسب أهدافه ووفق ما تقتضيه الظروف حتى و لو بالقفز عليه في بعض الأحيان.³، محاولة منه لتحقيق ما كان يصبوا إليه في تحقيق المساواة و الإدماج مع المحافظة على الأحوال الشخصية.⁴

ثالثا - كتاب "تاريخ زاووة" لأبي يعلى الزواوي:⁵

تفرد أبو يعلى الزواوي بانفتاحه على البعد الآمازيغي في الشخصية الوطنية وفي سعيه إلى إحياء الأمة الجزائرية . خاصة وان وحدة الأمل برأيه- تجمع الآمازيغيين و العربي⁶، فألف كتاب "تاريخ زاووة" سنة (1924م)⁷، وهو مشروع فكر فيه منذ (1912م) حين كان يعمل بالقنصلية الفرنسية بدمشق وهكذا، عكف على تأليفه وانتهى منه سنة (1918م).

¹ رابح لونيبي، المرجع السابق، ص 386.

² فرحات عباس، المصدر السابق، ص 73.

³ بو عبد الله عبد الحفيظ، المرجع السابق، ص 41.

⁴ رابح لونيبي، المرجع السابق، ص 386.

⁵ هو محمد السعيد، أبو يعلى الزواوي (1878- 1952م): كاتب صحفي لسلامي ، خطيب له استغلال بالفقه و التاريخ من أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائرية ولد ببلدة عزازقة (القبائل الكبرى)، نزحت عائلته إلى الشام فنشأ و تعلم بدمشق ، لجأ إلى مصر في مطلع الحرب العالمية الأولى، كتب في عدة جرائد مشرقية. عاد إلى الجزائر بعد الحرب فاشتغل بالتعليم و الوعظ. وولي الإمامة في جامع " سيدي رمضان" وهو ممن حارب البدع و الخرافات وكتابات. وتوفى بالجزائر العاصمة من آثاره المطبوعة الإسلام الصحيح ، ينظر، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 164.

⁶ محمد أرزقي فراد " الأفكار الإصلاحية في كتاب الشيخ أبي يعلى الزواوي 1866- 1952"، مذكرة ماجستير في التاريخ، إشراف الأساتذة الدكتور، مجاوي مسعودة ، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر (د)، ص 91.

⁷ رابح لونيبي، المرجع السابق، ص 125.

يذكر الزواوي أن هناك من طلب منه القيام بتحرير هذا التاريخ خاصة و أن فرنسا كانت قائمة عندئذ على فصل زاوة القبائل على بقية الجزائريين بدعوى أنهم من جنس غير البربر وغير العرب. بل هم برابرة رومان¹، ولعل ثناء الأمير عبد القادر عليهم (زاوة). هو ما شجع أبا يعلى الزواوي في تحمسه لمشروع كتابه، وجاء في هذا السياق قوله "... إلى غير ذلك من الخصال التي جعلت الأمير عبد القادر يستشهد بهم لمن حوله من العرب..."²

وقد أوضح الزواوي أنه قضى في البحث عشر سنوات عن أصل زاوة ونسبهم لكي يجيب على ما إذا كانوا عربا أ بربرا، وبعد إظهار دلائل وقرائن عديدة يؤكد الزواوي أن "الزاوة عرب مستعربة. وعرب عرباء بأصلهم المتقدم فهم عرباء لأنهم حمير بون، وهم

و مستعربة لأنهم دانوا بالإسلام و القرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه و سلم ، وهو من ولد إسماعيل المستعرب³

مما تجدر الإشارة إليه هو أن الزواوي قد رجع في تأليف كتابه إلى كتاب العبر لابن خلدون. والرحلة الحجازية بالإضافة إلى مراجع فرنسية عديدة جعلته يعتقد أن أصل زاوة أرى قبل أن يقنعه "الشيخ الطاهر الجزائري"⁴، بأصلهم السامي، ونتيجة لذلك عمد إلى إثبات هذا الأصل السامي أو القحطاني الحميري و أور د الكثير من الأدلة المستمدة من "كتب الرحلة الحجازية"⁵

قسم الزواوي الكتاب الى سبعة فصول، فجعل الأول في فضائل التاريخ و الثاني و الثالث فينسب زاوة ومحمدهم، و الرابع في زواياهم وعلمائهم وخدمتهم اللغة العربية، و الخامس في بعض عاداتهم. و السادس في

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص 338-339.

² محمد أرزقي فراد، المرجع السابق، ص 91.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص 340-341.

⁴ هو الطاهر بن صالح بن موهوب السمعوني الجزائري ثم الدمشقي (1859-1920)، عالم لغوي أديب و باحث من عمد الإصلاح اللغوي و الديني بسوريا، كان محسنا لأكثر اللغات الشرقية كالعبرية، السريانية ، الحبشية، الزاوية، التركية، الفارسية ،أصله من و غليس بالجزائر ،هاجر أبوه الى سوريا فولد بدمشق، مارس التعليم زما ثم عين مفتشا للمدارس الجديدة التي أنشأت في عهد مدحت باشا، ساعد على إنشاء " دار الكتب الظاهرية" و جمع فيها ما تفرق من مخطوطات في الخزائن العامة ، كما ساعد على إنشاء " المكتبة الخالدية" بالقدس ،انتقل الى القاهرة واستقر بها بضع عشرة سنة (1901-1919م) في اثناء الحكم التركي للشام، وعاد فانتخب عضوا في الجمع العلمي العربي في 1919م، وعين مديرا بدار الكتب الظاهرية وتوفي بعد ثلاثة أشهر من ذلك، ينظر، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 101.

⁵ راجع لونييسي، المرجع السابق، ص 383.

الإصلاح المطلوب وبيان طريقة التعليم، وبذلك جاء كتابه شاملا لمجموعة من المعلومات الاجتماعية و الدينية و الثقافية من تراجم وعادات وزوايا، كما أدخل فيه حتى رأيه في الإصلاح العام.¹

ركز في فصله الأول على التاريخ و فوائده. فربط التاريخ بالوعي القومي ونهضة الشعوب، لأنه كما يرى أن استيعاب معنى التاريخ له علاقة باليقظة و الأجداد. فرأى أن الإنكليز و الفرنسيين لم يتقدموا إلا بعد دراسة التاريخ الوطني. ورأى أن الشعوب المناهضة حتى التي فهمت تاريخها. ودرسته و حافظت عليه. وهو ما دفعه إلى تأليف كتابه هذا²

انتقد من لا يدرس التاريخ و يتعظ به، ويعمل لما جاء فيه، ويؤكد أن التاريخ هو خير العبر، لأنه هو " ديوان المبتدأ و الخير"، وعرفته بأنه " حياة الأمم الذي يحملها المطالبة بمجد الغابرين..." ولعل ذلك كما قال أبو القاسم سعد الله هو رد على الفرنسيين الذين طمسوا تاريخ الجزائر ومنه تاريخ زواوة.³ ، " فإفراد تاريخ خاص بزواوة مصالح كثير و منافع لزواوة... فإن النشا إذا درس تاريخ سلفه القديم الجيد يبقى حيا عاملا نشيطا، و يتخلق بمكارم الأخلاق، و يتحلى بنفائس الأعمال، إذ يقتدي بالمحمود من سلفه و يطرح المذموم..."⁴

أسس للوحدة في إطار التنوع الحضاري و الثقافي و اللغوي المستمد من فلسفة القرآن التي تعتبر اختلاف الألسن و تعدد الشعوب و الأجناس سنة الله في خلقه، و من صفات هذه الوحدة أنها إسلامية الروح، تحتل فيها العربية مركز الريادة ، مع انفتاح على الحضارة الأمازغية، باعتبارها عمقا حضاريا مهما و رصيда تاريخيا يباهي به المم و يستخلص منه العبر⁵

تحدث الزواوي على نتائج الحرب العالمية الأولى، ولكي يقنع قومه بالتحويلات التي طرأت على العالم الإسلامي، قال أن هذا العالم قد مر من الجاهلية و الوثنية إلى الفتوحات و غيرها، ولعله يريد أن يصل الى ان الاحتلال مرحلة ليس إلا من هذا التطور التاريخي.

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص 350 - 351.

² نفسه

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 307.

⁴ محمد أرزقي فراد، المرجع السابق، ص 91.

⁵ محمد أرزقي فراد، المرجع نفسه، ص 93.

أما هدفه من الكتاب فهو تنوير الجيل الجديد حتى يكون على بصيرة بمسيرة سلفه، وليتعلموا ما فعل الآباء والأجداد، ويقتدي بالأجداد، وكان همه الرئيسي أن "أنفخ فيهم روحا قوية، و أبعث منهم ذوي همم عالية وأهدي إليهم هذا الكتاب المستطاب..."¹

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص 308.

العلم نور

خاتمة

إذن من خلال ما سبق التطرق إليه في موضوع "الكتابة التاريخية في الجزائر ودورها في الحركة الوطنية(1900-1945م)" توصلنا إلى استنتاجات يمكن حصرها في النقاط الآتية:

- 1- جاءت الكتابات التاريخية في الجزائر بعد حاجة ماسة لبناء وعي تاريخي وإدراك لأهميته في بناء الذاكرة الجماعية للأمة كضرورة حيوية لحماية مسيرتها من الانحراف وجهدها من الضياع.
- 2- هذه الكتابات جاءت في خضم ظروف عامة، فقد جاءت ضمن تداعيات النهضة المشرقية من جهة والتغيرات العالمية من جهة ثانية.
- 3- تعتبر الكتابات التاريخية الجزائرية سلاح هام ضد سياسة التشويه والتغليب التي أنتهجها الاستعمار في حق تاريخ الجزائر ووسيلة إعلامية لمجابهة الأطروحات الاستعمارية والأحكام العنصرية بمنطق " لكل فعل ردة فعل" .
- 4- على الرغم من تنوع الكتابات التاريخية الجزائرية في المضمون، في الطرح وحتى في اللغة، إلا أنها تجتمع في هدف واحد وهو خدمة القضية الوطنية.
- 5- جاءت الكتابات التاريخية الجزائرية من أجل بعث تصور تاريخي للشعب الجزائري في إطاره العربي وبعده الإسلامي.
- 6- اعتبرت هذه الكتابات تعبيرا صادقا للظروف التي جعلتها تستجيب لدافع التحدي الحضاري المفروض عليها من جهة، والحفاظ على الهوية الوطنية من جهة ثانية، وبالتالي دفع مسيرتها نحو الاستقلال والتحرر.
- 7- هذه الكتابات تشكل في مجموعها ردا على الأطروحات الاستعمارية وكتابتهم التاريخية التي تتجاهل البعد الحضاري والعرقى واللغوي لسكان الجزائر.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتمنى أن يكون هذا البحث على قدر بساطته إضافة جديدة في رصيد البحث العلمي الهادف، وانطلاقة نحو إثارة إشكالية جديدة بقصد توجيه الأبحاث نحو معرفة وفهم ما لم يتم الخوض في غماره إلى يومنا هذا .

تم بحمد الله.

1994

الملحق رقم 1: واجهة كتاب البستاني ابن مريم محقق من طرف ابن أبي شنب.



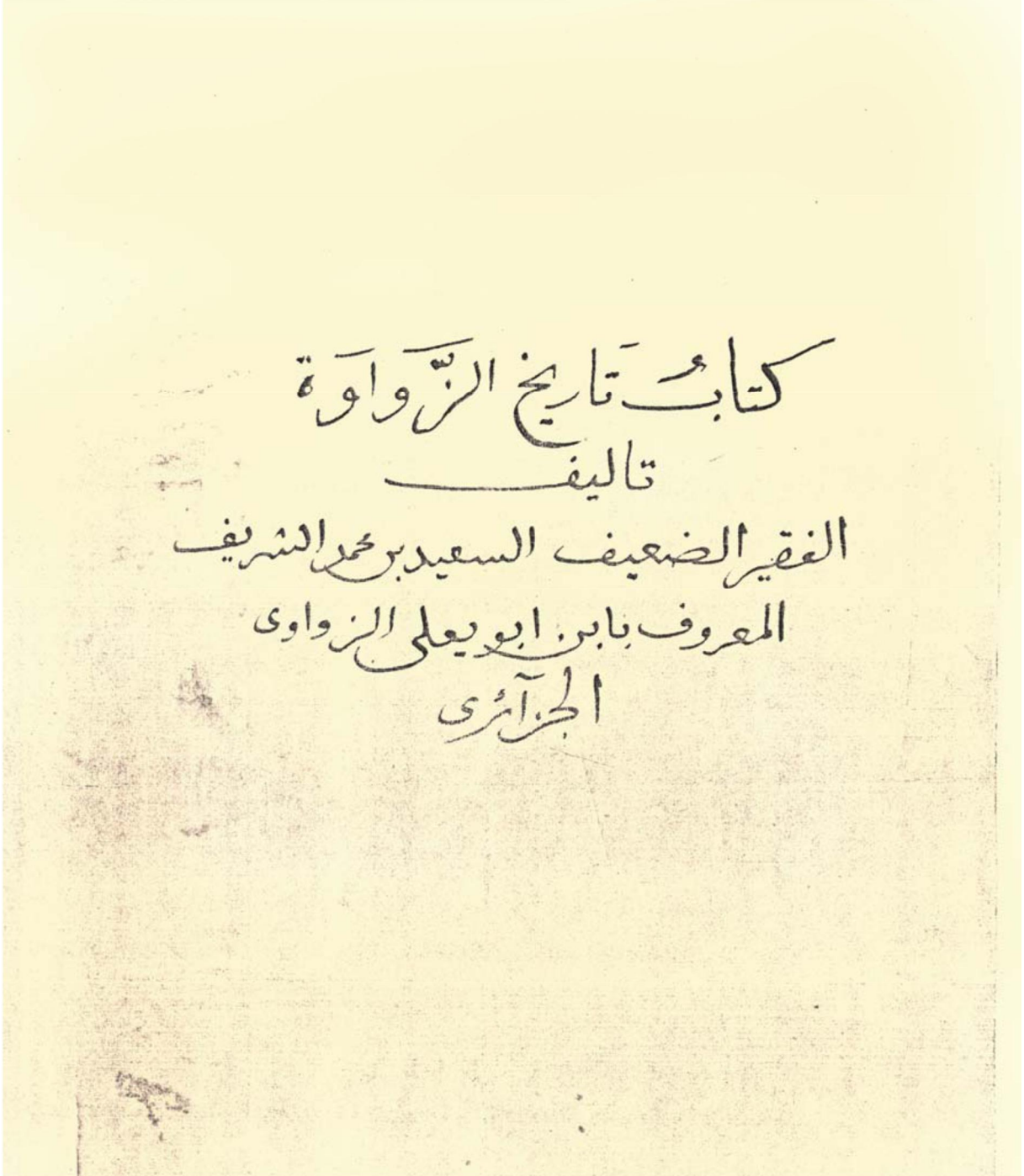
(El Bostān fi zikr el
awaliyā wāl 'ulemā
bi tilmāni,
Taliq is schiikk el imām
Abou 'abd Allah Mohammed iby
Mohammed iby Ahmed el Malgab

(Le Jardin biographique
des savants de Tilmān,
par Abou 'abd Allah, Mohammed
iby Mohammed iby Ahmed
el Malgab

Alger, ~~Alger~~ Ahmed. iby Mourād
el turki, 1326 (-1908.)
In. 8°, 31p. - 6p. 1/2.

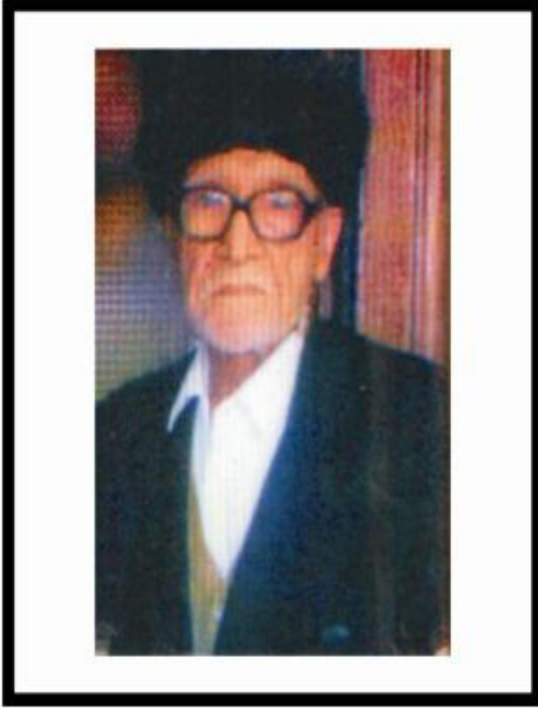
واجهة كتاب البستاني ابن مريم محقق من طرف ابن أبي شنب.

الملحق رقم 2: الصفحة الأولى من مخطوط كتاب تاريخ الزواوة.

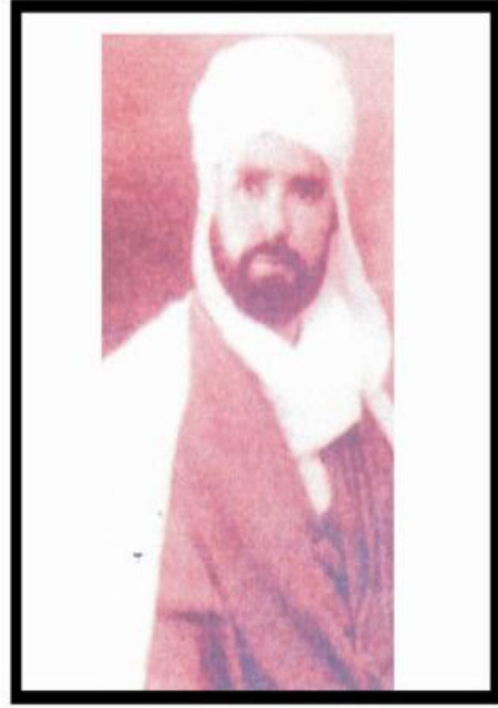


فراد محمد أرزقي "الأفكار الإصلاحية في كتاب الشيخ أبي يعلى الزواوي" ص 110

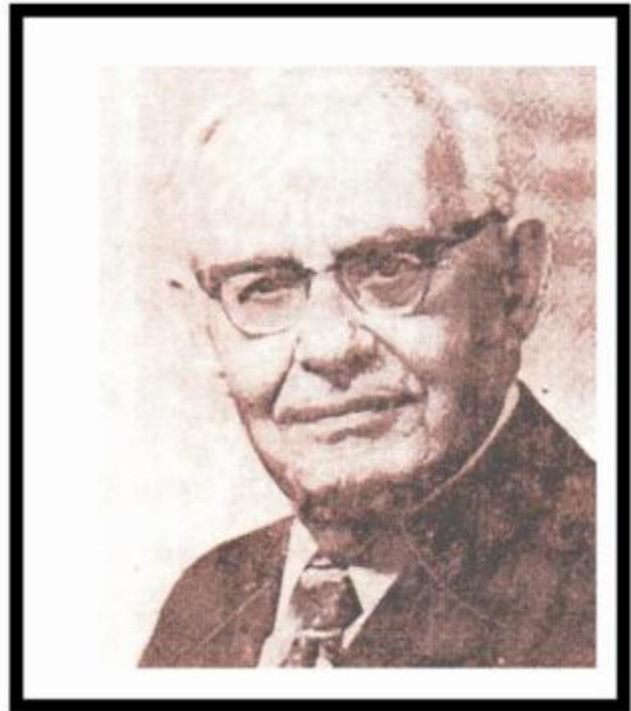
الملحق رقم 03 : رواد المدرسة التاريخية في الجزائر



الشيخ عبد الرحمان الجبلاي



الشيخ أمبارك الميلي



فارس كعوان "المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي" ص 411

الشيخ توفيق المدني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أولا- المصادر:

I-الكتب اللغة العربية:

- 1-الابراهيمي محمد البشير، آثار الإمام محمدا لبشير الإبراهيمي، ج5، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997
- 2-جوليان شارل أوندرى، إفريقيا الشمالية تسير، تر:المنجلي سليم وآخرون،الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1976،
- 3-الجيلالي محمد بن عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج 1، تحقيق ومعالجه النص، ياسينأصنام، دار شركه الأمة، 2010،
- 4-الجيلالي محمد بن عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج2، تحقيق ومعالجه النص، ياسينأصنام، دار شركه- الأمة، 2010،
- 5-الجيلالي محمد بن عبد الرحمان، محمد بن أبي شنب حياته وأثاره، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983
- 6-الحفناوى أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، دراسة وتحقيق، خير الدين شتره، دار كرداده للنشر والتوزيع، 2013،
- 7-ابن خلدون عبد ،الرحمان، مقدمه ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2004،
- 8-خوجه حمدان بن عثمان، المراه، تقديم وتعريب وتحقيق، محمد العربي الزيري، منشورات، ANEP، 2005،
- 9-المدني احمد توفيق، حياه كفاح، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2009،
- 10-المدني احمد توفيق، حياه كفاح، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2009،
- 11-المدني احمد توفيق، قرطا جنه في أربعه عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، دار البصائر، 2009،
- 12-المدني احمد توفيق، كتابالجزائر، دار البصائر، 2009،
- 13-ابن مريم، البستان، تحقيق، محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، 1907،
- 14-المزاري، طلوع سعد السعود، تحقيق، يحيىوعزيز، دار البصائر، 2009،
- 15-ابن منظور، لسان العرب، ج3، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 2003،
- 16-الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د،ت)
- 17-الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د،ت)
- 18-الساحلي محمد الشريف، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، تر:يحياتن، منشورات ،ANEP، 2008،
- 19-عباس فرحات، الشبابالجزائري، تر : أحمدمنور، وزاره الثقافة، 2007،

II-الكتب باللغة الفرنسية:

- 1-Basset René(E, F), **Recherche Sur la Religion Des Berbères**, Paris ,1910
- 2-Douté Edmond, **Magie&Religion Dans L'Afrique Du Nord** Alger, 1909
- 3-Douté Edmond, **Note sur L'islâm Maghrébin, Marabouts**, Paris, 1900
- 4-Marth et Edmond Gouvion, **Kétab Aayane el Magarba**, imprimeri Fontana Frères, Alger, 1920

III-المقالات باللغة العربية:

- 1-الإبراهيمي محمد البشير، "حياه مبارك الميلي"، البصائر، ع8، 26مارس1948.
- 2-إبن باديس عبد الحميد، "كتاب الجزائر، كذلك وبمثل ذلك يؤدي الواجب أيها الجزائري الناشئ"، الشهاب، ج3، مج8، مارس1932.
- 3-إبن باديس عبد الحميد، "كتاب محمد عثمان باشا"، الشهاب، ج1، مج13، سبتمبر1937.
- 4-بن العاشور محمدا لفاضل، "قرطا جنة في أربعة عصور"، (الفتح الإسلامي الأول لإفريقيا)، الشهاب، ع10، 121نوفمبر1927.
- 5-مجهول، "تاريخ الجزائر العام"، جريدة المنار، ع7، 6جوتليه1953.
- 6-مجهول، "تاريخ الجزائر في القديم والحديث للأستاذ مبارك بن محمد الهلالي الميلي"، الشهاب، ج5، مج8، أوت1932.
- 7-مجهول، "قرطا جنة في أربعة عصور" الشهاب، ع29، 115سبتمبر1927.
- 8-مجهول، "كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث لمؤلفه الأستاذ مبارك بن محمد الهلالي الميلي"، الشهاب، ع1، 160أوت1928.
- 9-مجهول، "كتاب عثمان باشا"، البصائر، ع77، 30جويلية1937.
- 10-المدني أحمد توفيق، "مبارك الميلي مؤرخ الجزائر"، البصائر، ع8، 26مارس1948.
- 11-المدني أحمد توفيق، "محمد عثمان باشا"، الشهاب، ج1، مج14، 13مارس1937.

VI-المقالات باللغة الفرنسية:

1-Gautié (E, F) , **Considération sur l'histoire du Maghreb**, Revue Africaine ,vol68,1927.

ثانيا- المراجع:

1-الكتب:

- 1- بوصفصاف عبد الكريم، الفكر العربي الحديث والمعاصر، ج1، دار مداد، 2009.
- 2- بوعزيز يحيى، موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب، ج3، دار الهدى، 2009.
- 3- بلاسي نبيل أحمد، الاتجاه العربي و الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة العلمية لمكتبه الأسكندرية، 1990 .
- 4- حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ENAGEDITONS، الجزائر، 2008.
- 5- حلاق حسن، مناهج الفكر و البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات، ط4، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2004.
- 6- الحويدي محمود محمد، منهج البحث في التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001.
- 7- دبوز علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، عالم المعرفة، (د،م)، 2013.
- 8- دبوز علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ج2، عالم المعرفة، (د،م)، 2013.
- 9- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.
- 10- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996.
- 11- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998 .
- 12- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998 .
- 13- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ج2، ط4، الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.
- 14- سعيدوني ناصر الدين، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.
- 15- سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وأفاق، دار الغرب الإسلامي، (د،ت).
- 16- سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- 17- سعيدوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، (د،م)، 1999.
- 18- الساحلي محمد الشريف، تخلص التاريخ من الاستعمار، تر: محمد الشريف بن دالي حسين ومحمد هناد، منشورات وزارة المجاهدين، 2002.
- 19- صاري أحمد، شخصيات و قضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، مطبعة العربية، غرداية، 2004.
- 20- الصباغ ليلي، دراسة منهجية البحث التاريخي، ط3، مطبعة الروضة، دمشق، 2008.
- 21- العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1996.
- 22- ابن العقون عبد الرحمان إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج1، ط3، منشورات السائحي، الجزائر، 2010.
- 23- عميرايوي أمحمد، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى، 2004.
- 24- الفرحي بشير كاشة، صفحات مشرقة من تاريخ الحركة الوطنية (1951-1953) جريدة "المنار" نموذجاً، ج2، العالمية للطباعة و الخدمات، الجزائر، 2010.
- 25- قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1939)، ج1، تر: أحمد بن البار، دار الأمة، 2008.
- 26- قنان جمال، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، مج6، منشورات وزارة المجاهدين، 2009.
- 27- قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، مج4، منشورات وزارة المجاهدين، 2009.
- 28- قنانش محمد، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصبه للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
- 29- لونيسي رابع، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954)، كوكب العلوم، 2009.
- 30- المدني احمد توفيق، حياة كفاح، ج3، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- 31- المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- 32- مرتاض عبد الملك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954)، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989.
- 33- ليود كلود وجيل منصور، الاستعمار و القانون والتاريخ، تر: بشير بولفراق، دار القصبه، 2007.
- 34- عبد النور خيثر وآخرون، منطلقات و أسس الحركة الوطنية الجزائرية، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر

35 - نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت لبنان، 1998.

36- هلايلي حنفي، أوراق من تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، 2008.

2- الرسائل الجامعية:

أ- رسائل الدكتوراة:

1- كعوان فارس، "المؤرخون الجزائريون و نمو الوعي التاريخي"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراة في التاريخ المعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور، عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011-2012

ب- رسائل الماجستير:

1- بوعبد الله عبد الحفيظ، "فرحات عباس الإدماج والوطنية"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور، يوسف مناصرية، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005-2006.

2- خليفي عبد القادر، "توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس والجزائر (1899-1983م)"، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور، عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ و الآثار، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 1427هـ-1428/2006-2007.

3- فراد محمد ارزقي، "الأفكار الإصلاحية في كتاب الشيخ أبي يعلى الزواوي (1866-1952)"، مذكرة ماجستير في التاريخ، إشراف الأستاذة الدكتورة، يمياوي مسعودة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، (د،ت).

3- المقالات:

أ - باللغة العربية:

1- بركات أنيسة، "حياة في سبيل العلم والجهاد"، مجلة التاريخ، ع18 المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، النصف الأول من سنة 1985.

2- بقطاش خديجة، "أبو القاسم الحفناوي و كتابه تعريف الخلف برجال السلف"، مجلة الأصاله، ع51، الجزائر، 1977.

3- بوشناف محمد، "الكتابة التاريخية في الجزائر-العهد العثماني نموذجاً"، مجلة عصور الجديدة، ع3-4، 2011-2012.

- 4- دادة محمد، "التدوين التاريخي في العهد العثماني خصائصه وموضوعاته"، مجلة عصور الجديدة، ع3-2011-2012، 4.
- 5- دهاش صادق، "إشكالية المدرسة التاريخية بين أمس واليوم"، المدرسة التاريخية الجزائرية، الجزائر، 1998.
- 6- رمعون حسن، "المؤرخون الجزائريون من مناضلي الحركة الوطنية"، تر: أمير مختار، ضمن كتاب، النخب الاجتماعية حالة الجزائر ومصر، مركز البحوث العربية والإفريقية، 2004.
- 7 - زرقين زهراء، "سياسة التغريب والإدماج في المشروع الثقافي الاستعماري بالجزائر القرن 19"، مجلة المعيار، ع10، سبتمبر 2005.
- 8- السايح فلالي، "نظرة حول المدارس المختلفة للتاريخ"، الملتقى الوطني الثالث للبحث الأثري والدراسات التاريخية، المسيلة، 1995.
- 9- سطحي سعاد، "وسائل المشروع الثقافي للقضاء على الهوية الوطنية"، مجلة المعيار، ع10، سبتمبر 2005.
- 10- سعد الله أبو القاسم، "منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر"، مجلة الأصالة، ع14-15، ماي، جوان، جويلية، أوت، 1973.
- 11- سعيدوني ناصر الدين، "التاريخ وأهميته في بناء الوطن"، مجلة الباحث، ع2، نوفمبر 1984.
- 12- سليمان أحمد، «إشكالية كتابة التاريخ الوطني، «المدرسة التاريخية الجزائرية»»، الجزائر، 1998.
- 13- شرف الدين أحمد، "محمد الشريف الساحلي فيلسوف و مؤرخ"، المدرسة التاريخية الجزائرية، الجزائر، 1998.
- 14- بن شنب محمد، "النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري"، ضمن كتاب، إسماعيل العربي، الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- 15- صاري جيلالي، "أهمية كتاب الجزائر"، مجلة التاريخ، ع18، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، النصف الأول من سنة 1985.
- 16- طونا فكري، "الوثائق العثمانية وأهميتها عند الشيخ أحمد توفيق المدني"، مجلة التاريخ، ع18، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، النصف الأول من سنة 1985.
- 17- العدواني محمد الطاهر، "حول المنهج العلمي لكتابة تاريخ الثورة"، المدرسة التاريخية الجزائرية، الجزائر، 1998.
- 18- بن عميرة السعيد، "دور جمعية العلماء المسلمين في التصدي للمشروع الثقافي الاستعماري"، مجلة المعيار، ع10، سبتمبر 2005.

- 19- غالم محمد، "التاريخ والمؤرخون في الجزائر خلال القرن الثامن عشر"، وحدة البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، جامعة وهران، (د،ت).
- 20 - غالم محمد، "براديقما المقاومة في الخطاب التاريخي الإصلاحي، أحمد توفيق المدني نموذجاً"، مجلة عصور الجديدة، ع3-4، 2011-2012.
- 21- عبد القادر جيلالي بوليفة، "قيمة ووزن الكتابة التاريخية الفرنسية في المشروع الاستعماري"، مجلة المعيار، ع10، سبتمبر 2005.
- 22- كواتي مسعود، "المدرسة التاريخية، منجزات الحاضر ومعالم المستقبل"، المدرسة التاريخية الجزائرية، الجزائر، 1998.
- 23- مريوش أحمد، "مبارك المليي شيخ المؤرخين الجزائريين"، المدرسة التاريخية الجزائرية، الجزائر، 1998.
- 24- ميسوم بلقاسم، "الشيخ عبد الرحمان الجيلالي فقيه المؤرخين الجزائريين"، مجلة عصور، ع12-13/14-15، 2008-2009.
- 25- المليي محمد، "نماذج من تشويه بعض المؤرخين الأجانب لتاريخ الجزائر"، مجلة الأصاله، ع14-15، ماي، جوان، جويلية، أوت، 1973.
- 26- هلال عمار، "مكانة المصادر العربية في كتابة التاريخ الوطني الجزائري (1930-1962)"، مجلة بحوث، ع2، معهد التاريخ الجزائري، 1994.
- 27- هيصام موسى، "التاريخ الوطني في المنظومة التربوية، التعليم الثانوي نموذجاً"، المركز الوطني، واقع الدراسات التاريخية في الجزائر، منشورات وزارة المجاهدين، 2007.
- 28- يحيياوي جمال، "واقع الدراسات التاريخية في الجزائر"، المركز الوطني، واقع الدراسات التاريخية في الجزائر، منشورات وزارة المجاهدين، 2007.
- ب - اللغة الفرنسية:

1-Saadedine Ben cheneb , **quelque historiens arabes modernes de l'Algérie**, Revus Africaine, vol 100, 1956.

الفصل الثامن

فهرس الأماكن:

-أ-	إفريقية	-ح-	الحجاز	-ص-	صقلية
	أوروبا	-ر-	روسيا	-ف-	فرنسا
-ب-	بريطانيا	-ز-	زاوية بلاد القبائل		فلسطين
	بلاد الغال		زاوية الهامل	-ق-	قرطا جنة
	بيت الله الحرام		الزيتونة		القرويين
-ت-	تلمسان	-س-	السودان	-م-	مصر
	تونس	-ش-	الشام		المغرب
-ج-	الجامع الكبير		الشام		المغرب الأقصى
	الجزائر	-ش-	الشام		المغرب الأوسط
	جنوب إفريقية				

فهرس الأعلام:

جوليان شارل	-أ-	الإبراهيمي البشير
جونار شارل	أبن باديس	آجرون شارل رويبر
الجيلالي عبد الرحمان	باسي ريني	أحریتو مارسيل
-ح-	بتروفسكي	آرسلان شكيب
الحفناوي	الباشا محمد عثمان	أوزان ب
-خ-	بيرك جاك	أوستن شارل بيرو
الحشن أبو عبد الله بن الحارث	-ت-	آيت عمران محمد ايدير
ابن خلدون	التميمي أبو العرب محمد	إيفير جورج
خوجة حمدان	-ج-	إمريت مارسيل
-د-	الجزائري الطاهر	دبوز علي
-و-	الغبريني	دهاش الصادق
الورتيلاني الحسين	غزال ستيفان	دويرداس فونتان
-ي-	غوتي	دوتي
يوغرطة	-ف-	دوق مال
	ابن الفكون	دومنيك لوسيان
	-ك-	الديسي محمد بن عبد الرحمان
	قداش محفوظ	-ز-
	قنانش محمد	الزهار محمد الشريف
	-ل-	الزواوي أبو يعلى
	لونيسي رابح	-س-
	-م-	الساحلي الشريف
	مؤنس حسين	سعد الله أبو القاسم
	المدني توفيق	-ش-
	ابن مريم	ابن أبي شنب سعد الدين
	مريوش أحمد	ابن أبي شنب محمد
	المزاري الأعما بن عودة	الشيخ الحداد
	المزاري محمد	

	المشرفي أبو حامد المقراني الميلي مبارك الميلي محمد بن مبارك -ن- نسومر لالة فاطمة	-ع- عباس فرحات عبد الرحمان عائشة عبد القادر الأمير علي محمد كر -غ-
--	---	---

	البسمة
	الاستهلال
	الإهداء
	الشكر
12-9	مقدمة
19-13	الفصل التمهيدي: التاريخ الجزائري بين الوعي والصعوبات
13	أولا: تعريف الكتابة التاريخية (ضبط المصطلح)
14	ثانيا: الوعي بالتاريخ بين النظرة العامة وحظ الجزائريين منه
14	1. النظرة العامة حول الوعي بالتاريخ.
15	2. حظ الجزائريين من الوعي بالتاريخ
17	ثالثا: صعوبات واجهة كتابة التاريخ الجزائري خلال الفترة الاستعمارية.
17	1. المرحلة الأولى
18	2. المرحلة الثانية
34-20	الفصل الأول: الكتابة التاريخية في الجزائر بين الواقع والآفاق.
20	أولا: انبعاث الكتابة التاريخية في الجزائر (ظروف مرتكزات).
20	1. ظروف انبعاث الكتابة التاريخية في الجزائر.
21	2. مرتكزات الكتابة التاريخية في الجزائر.
27	ثالثا: التوجهات العامة للكتابة التاريخية في الجزائر.
27	1. المدرسة الفرنسية.
31	2. المدرسة الجزائرية.
50-35	الفصل الثاني: كتابات تاريخية جزائرية ذات توجه أصلاحي.
35	أولا- كتاب " تاريخ الجزائر الحديث في القديم والحديث "المبارك الميلي
35	1 ظروف صدور الكتاب
36	2-مضمون الكتاب.
38	3-منهج الكتاب وأهدافه.
41	ثانيا-إسهامات توفيق المدني في الكتابة التاريخية
42	1- كتاب " قرطاجنة في أربعة عصور".

44	2- كتاب "كتاب الجزائر".
48	3- كتاب "محمد عثمان باشا داي الجزائر".
64-51	الفصل الثالث : كتابات ذات توجهات أخرى.
51	أولا- كتاب "تاريخ الجزائر العام" لعبد الرحمان الجيلالي.
55	ثانيا- كتاب التاريخ عند كل من الشريف الساحلي وفرحات عباس.
61	ثالثا: كتاب "تاريخ زاوة" لأبي يعلى الزاوي.
65	خاتمة
66	الملاحق.
69	قائمة المصادر المراجع.
76	فهرس الأماكن.
77	فهرس الأعلام.
79	فهرس المحتوى.

الله
محمد